سلسلة الأعمال الإبداعية

قديسة التوراة

إسلام عامر على

الطبعة الثالثة

اسم الكتـاب : **قديسة التوراة .**

اسم المـؤلف : **إسلام عامر على .**

اسم الناشـر : **رابطة الكتاب العرب المشهرة تحت رقم ١٦٨١**

رقم الإيداع : **٢٠٠٣٤**

سنـة الطبـع : **٢٠٠٢**

تاريخ الطبعة الأولى : **٢٠٠٢**

تاريخ الطبعة الثانية : **٢٠٠٤**

تاريخ الطبعة الثالثة : **٢٠٠٤**

اللهم أجعل من قلميَّ سوطا من العذابِ و القهر على المُتخاذل عن نصرةِ الحق ، و المُتقاعس عن نداءِ المظلوم ، و المُسارع للقاء الباطل ، و مُزهق الحق و مُحيي الظلم ، و الصابئ عن قومه بالباطل . اللهم أعز قلميَّ و عززنيَّ في دنيايَّ و أحسن ختاميَّ و يسر ليَّ في الدنيا و الآخرة و قنيَّ عذاب النار ، و أجعل منيَّ للباطل لدودًا و غريمًا .

المؤلف

إسلام عامر علي



مقدمة الطبعة الأولى

اليومُ أصبحنا نحيا فى خضم ملحمةٍ من الظلم و الطغيان ، من قهرٍ و استعباد على أيدى اليهود .

يهودُ اليومُ الذين رضعوا من صدور أجدادهن لبن الغدر و الخديعة و المكر ، الذى أخذ يسرى فى أجسادهم مجرى الدم ، فلم يكونوا أفضل حال من أسلافهم الأولين ، أشقاء يوسف - عليه السلام - ((حرثان ، و الطارق ، و الذيال ، و ذو الكتفان ، و قابس ، و وثاب ، و عمودان ، و الفيلق ، و المُصبح ، و الضروح ، و ذو الفرع)) ، كما نزل جبريل - عليه السلام - بأسماء الأحد عشر كوكبًا و الشمس و القمر التى رآها يوسف - عليه السلام - فى منامهِ قبل أن يَحتلم ، على رسولنا الكريم - صلوات الله و سلامه - فى مجلسهِ مع بستانة اليهودى ، و حسدهم ليوسفِ الكريم بن رحيل و أخيه الصغير بنيامين ، و كيدهم ليوسف - عليه السلام - و إلقائهِ فى الجب ليلتقطه بعض السيارة ، و إدعائهم أن الذئب أكله فأذهبوا بنور عين يعقوب .

و ما فعله شاس بن قيس - ذلك الهرم اليهودى ، شديد الحقد على المسلمين ، شديد الحسد لهم من الوقيعة بين الأوس و الخزرج ، و ما فعلته زينب بنت الحارس - امرأة سلام بن مشكم - مع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و تلك الشاة المسمُومة التى قدمتها له بعد

غزوة خيبر هو و صاحبه بشر بن البراء بن معرور ، بغرض قتله و الآتيان بما لم يقدر عليه الرجال من كفار قريش ، و كانت النتيجة هى مقتل بشر بن البراء بن معرور بعدما استساغ طعم الشاة المسمُومة .

و ما نراه الآن من سلبٍ لتلك الأرض العربية المُسلمة - فلسطين - و قتل الأبرياء من الأطفال حديثى العهد بالحياة ، مثال الطفل محمد جمال الدرة الذى لقى حتفه عن عمر يناهز الاثنى عشر عامًا بالقرب من مخيم البرج - غزة الموافق ٢٠٠١/٩/٣ و قد استشهد على آثر رصاصات غادرة من العدو اليهودى الذى أخذ يتجنب قتل الأطفال الذين يقبضون على الحجارةِ الصماء - التى لو تفوهت لفضحت أفعالهم الدنيئة - و أتجهوا لقتل الأطفال العزل ، و عندما سُئل الرئيس الأمريكى الأسبق (بيل كلينتون) عن هذه الحادثة التى ذاعت فى جميع أرجاء العالم ، لتصبح حديث الصحافةِ و التليفزيون قال :

((أننى كنت أشاهد الشريط كما لو كان الرجل شخصًا أعرفه))

و المقصود هنا بالرجل هو والد الطفل الشهيد ، الذى حاول جاهدًا درأ الموت عن ولده ، و لكن دون جدوى .

أذكـــر المـــوت و لا أرهبـــه   إن قلبـــىّ لغليـــظ كالحجـــر
أطلـــب الدنيـــا كـــأنى خالـــد   و ورائى الموت يقفو بالآثـــر
و كفى بالموت فاعلم واعظًا   لمـــن المـــوت عليـه قد قـدر
و المنايـــا حولـــه ترصـــده   ليس يُنجى المرء منهن المفر

و ماذا عن الشهيدة ريهام أبو الورد التى كانت تبلغ من العمر عشرة أعوام عندما لاقت حتفها آثر رصاصات غادرة من النوع الثقيل عيار ٥٠٠ ملم ؟

و ماذا عن الشهيدة إيمان محمد عبد الحميد حجو التى كانت تبلغ من العمر أربعة أشهر فقط عندما استشهدت فى الموافق ٢٠٠١/٥/٧ فى خان يونس- غزة ؟

و ماذا عن الشهيد ضياء مروان الطميزى الذى كان يبلغ من العمر ثلاثة أشهر فقط عندما وافته المنية فى الموافق ٢٠٠١/٧/٢٠ فى أذنا - الخليل ؟

لقد أصبحت سياسة اليهود الآن تتجه و تتساق خلف قتل الأطفال الرضع خشية أن يخرج من بينهم صلاح الدين أو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فيفتك بشارون و عصابته ذات الرداء الدموى ، مقتادين بفرعون الذى كان يقتل كل وليد ذكر فى بنى إسرائيل ، خشية من ظهور ذلك الغلام الذى سيذهب بُملكه و مُلك مصر .

لقد أصبح دورنا اليوم هو عقد المُعاهدات و الاتفاقيات و المُؤتمرات مع اليهود ، الذين سُرعان ما ينقضونها ، متبعين سيرة الأولين منهم ، عندما كانوا ينقضون عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم

✡ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قرار رقم ١٨١ ، و قد نص على تقسيم فلسطين إلى جزء عربيٍّ و آخر يهوديٍّ ، ومن أصدر هذا القرار هى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تدعى إنها تدعو للسلام فى الشرق الأوسط .. ما علينا من هذا القرار .

✡ يناير ١٩٤٩ مُعاهدة روديسكى ، و كانت تهدف لفرض هدنة بين العرب و اليهود ، و قد نتج عن هذه المُعاهدة خسارة الفلسطينيون لمعظم أرضهم .

و كثيرًا من هذه المُعاهدات التى يقودها قراصنة اليهود ، أمثال نتنياهو ، إسحاق شيمير ، رابين ، كاهانا ، الساقطة جولدا مائير ، إليعازر .. و العديد من مُجرمى الحرب .

و أخالكم قد لمستم فى أيامنا الآخيرة أن يد اليهود أصبحت تسيطر على دول العالم أجمع ، خاصة تلك الدول الرأسمالية ، و ذات القوة و السيادة ، بما فيهم الولايات المتحدة الأمريكية ، فما حدث للإتحاد السوفيتى من فوضى و مُخدرات و دعارة و مافيا كان عبارة عن تخطيط صهيونى و تنفيذ أمريكى لتحطيم السيادة المُنافسة لهذه

الآخيرة .

طبعًا الدهشة تحتل عقلك يا سيدىَّ ، و تتساءل أمعقول أن ترمى إسرائيل إلى سيادة العالم ؟

نعم .. و دليلىّ على ذلك ما يلى ...

ألم يكن شعار اليهود المُدون على الكنيست الإسرائيلى هو (من الفرات إلى النيل) ، أصبح الأن (من المحيط إلى الخليج) ، و فى باطن أعضاء الكنيست يضمر شعار (السيادة على العالم أجمع مشرقهِ و مغربهِ) .. ((إن إسرائيل ليس لها فى العالم غير حليفٌ واحد وفى .. هو الشعب اليهودى ، إن إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا أقارب لها .. سواء من ناحيةِ الدين أو اللغةِ أو الأصل كتلك القرابات التى تربط مثلا بين الدول العربية أو الاسكندنافية أو البوذية أو الكاثوليكية أو الأنجلوسكسونية .. أننا شعب يعيش فى هذا العالم بمفردهِ)) .. و هذه عبارة قالها مؤسس الدولة الإسرائيلية بن جوريون ، حيث أتضح منها أن إسرائيل تسعى للتفرد ، و هذا التفرد يعنى السيادة ، و السيادة تفرض عليهم أن تكون إسرائيل هى القوة الوحيدة الضاربة فى العالم .

و لك يا سيدىَّ أن تعلم أن من بيننا نحن العرب عملاء لليهود ليسوا فقط من أصحاب النفوذ المحدودة ، بل إيضًا من أصحاب اليد

الطولى و صانعى القرار .

على سبيل المثال الرئيس السودانى جعفر النميرى ، الذى كان أحد أصدقاء واشنطن فى المنطقةِ العربيةِ ، حتى إنه سمح ليهود الفلاشا بعبور السودان للذهاب إلى إسرائيل ، فيما عرف بـ ((فضيحة الفلاشا)) ، و يا ليت يهود الفلاشا تمت مُعاملتهم بالحُسنى داخل بلدهم الجديد إسرائيل ، بل كانوا حُثالة اليهود فى بلدهم المزعوم .

فعندما هبطوا على أرض مطار تل أبيب ، قام الإسرائيليون بتجريدهم من ملابسهم ، و رشوهم بالمبيدات الحشرية ، و كذلك اعتبرتهم بعض الأحزاب المتشددة فى إسرائيل أنهم غير يهود .

فإسرائيل تعتبر اليهود العرب ((السفرديم)) و اليهود الأفارقة حثالة و حشرات ، و ذلك لأنهم ليسوا من أصحاب النفوذ و اليد الطولى التى تحقق لهم النصر فى حربهم مع العرب .

((و قضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين و لتعلن علوّا كبيرا)) [الإسراء : ٤]

أما من قوة رادعة توقف هذا الفساد و العبث اليهودىّ بعقولنا نحن العرب ، أم كتب على الرعيل الجديد من اليهود أن يفسدوا فى الأرض كما أفسدها أجدادهم من قبل كما توضح الآية السابقة ؟ .. أم ُكتب علينا نحنُ العرب أن ُنشاهد المذابح و المجازر على شاشة

التلفاز و نصمت ؟

نعم .. نصمت بعدما تبلع الأفاعى صرخاتنا و احتجاجاتنا فى الحلوق ماذا فعلنا حيال ضرب الولايات المتحدة الأمريكية للعراق بأكثر من تسعين ألف غارة ، و كلنا يعلم أن اليهود هم المُحرك الرئيسى لأمريكا و بريطانيا ، و دفعهم لضرب العراق ، و ذلك للأسباب التالية ...

✡ **الأسباب الظاهرية** .. انتقامًا من بختنصر البابلى ، الذى هدم هيكل سليمان منذ بضعة قرون مضت من عمر الزمن .. و بالطبع هذا السبب لا يقنع طفل مازال يلعق أصابعه ، أما الحق فهو مايلى

✡ **الأسباب الحقيقية** ..

١- ضمان السيطرة السياسية و الاقتصادية على منابع النفط الخام ، لتبقى هذه المادة الاستراتيجية فى خدمةِ اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الصناعية الأخرى ، و لكن من خلال السيطرة الأمريكية .

٢- توظيف عائدات دول المنطقة من النفط فى خدمة الاقتصاد الأمريكى و الإسرائيلى .

٣- جعل المنطقة سوقًا استهلاكيًا للبضائع الأمريكية و الإسرائيلية ، خاصة فى ظل الاضطراب العربىَ الذى سيسود من هذه الضربة .

٤- ضمان بقاء المنطقة بأراضيها الجغرافية و مياهها الإقليمية و أجوائها فى خدمة الاستراتيجية العسكرية الأمريكية العالمية ، و بالتالى لإسرائيل .

٥- إقامة قواعد أمريكية و إسرائيلية ، أو إيجاد تسهيلات جوية ، و بحرية لأساطيلها فى المنطقة .

٦- ضمان أمن إسرائيل فى المنطقة و تعزيز قوتها العسكرية .

ماذا فعلنا حيال مجزرة مدرسة الإبراهيميين التى بُنيت عام ١٩٩٠ ، فى حى المراح فى الحارة الشرقية - جنين بفلسطين - لتكون مقبرة يُقبر فيها نحو ٩٥٠ فتاة فى عام ١٩٩٢ ، على آثر قذف يهودى ؟

ماذا فعلنا حيال صبرا و شاتيلا و مجازر بيت ريما و حصار الرئيس عرفات بعد قصف مركز الرئاسة الخاص به ؟

ماذا فعلنا حيال ضرب لبنان ، و التفرقة الداخلية بين أحزابها على يد اليهود ؟

ماذا فعلنا حيال الإعتداء السافر الأمريكى على أفغانستان بقيادة جورج دبليو بوش ابن بوش الأول فارس حرب الخليج ، مدير المُخابرات الأمريكية الأسبق ؟

ألا أيها المغـرور مـا لك تلعب

تـؤمـل آمـالاً و مـوتـك أقـرب

و تعلـم أن الحـرص بحـر مُعبد

سـفينـتـه الدنيـا ، فـإيـاك تعطـب

و تعلم أن الموت ينقض مسرعًا

عليـك ، يقينـًا طعمـه ليس يعـذب

كأنك توصى و اليتـامى تراهـم

و أمـهـم الثكلـى تنـوح و تنـدب

و أقبل بـالأكفـان نحـوك قاصـد

و يحثى عليك التراب و العين تسكب

ماكرون هم اليهود أولاد الأفاعى ، و لكن الله - عز وجل - شديد المكر .

((و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين))

[آل عمران : ٥٤]

و اليهود بطبيعتهم شعب لا يحترم المواثيق و الأعراف ، فهم يدهسونها بالنعال طالما تقف حائلاً أمام طموحهم فى السيادة ، و أحلامهم فى السيطرة ، حتى و لو كانت هذه الأحلام غير مشروعة

ففى عام ١٩٩٦ فى أثناء مذبحة قانا فى لبنان ، التى أطلق عليها السفاح الإسرائيلى شيمون بريز ((عناقيد الغضب)) ، لم يتورع فى قصف مبنى الأمم المتحدة فى لبنان ، الذى أعتقد الضحايا إنه أمن ، و لكن لا يُوجد شئٌ آمن مع السفاحين اليهود ، و لم يهتموا بأمر مبنى الأمم المتحدة ، و موقف الولايات المتحدة الأمريكية منهم ، و هذا لأن مصلحتهم و نرجسيتهم تدفعهم لهدمه لتصفيةِ الأبرياء من الشعب اللبنانى الذين تحاموا فيه ، و كذلك لم تتورع إسرائيل فى انتهاك سيادة دولة ، عندما أرسلت فرقة كوماندوز إلى دولة الأرجنتين لأختطاف أدولف إيخمان عندما كان مُختبئ فيها ، و الذى كان يحتل منصب نائب أدولف هتلر ، و دون أن تحصل على أذن من الحكومة الأرجنتينية أو تطلب مُساعدتها فى القبض عليه ، و لكنها ضربت بالسيادة الأرجنتينية عرض الحائط ، حتى حصلت على أدولف إيخمان و أعدموه داخل إسرائيل دون أن يرحموا كبر سنه ، انتقامًا منه على ما فعله باليهود مع رئيسه هتلر فيما عُرف بمحرقة الهولوكوست .

و كما ذكرت أنفًا أن إسرائيل تدفع برجالها للسيطرة على المواقع الاستراتيجية و العسكرية و وسائل الإعلام فى جميع دول العالم ، خاصة الدول العظمى .

فهذا حاييم دزرائيلى ، اليهودى الوحيد الذى تولى رئاسة وزراء بريطانيا .

و أخيرًا و ليس آخرًا أريد أن أنوه بأن بن جوريون مُؤسس دولة إسرائيل الحالية عمل لفترة زبالاً .. نعم زبالاً ، و لكنه استطاع أن يتحول من جمع القمامة إلى جمع اليهود من جميع أرجاء الأرض .

و فى النهاية أقسم أن أجعل من قلمىَّ الذى أسطر به هذه الكلمات أن أجعل منه سلاحًا يفتك باليهود و يُجردهم من حقيقتهم المُزيفة ، و أجعلهم عرايا أمام العالم .

و لن أتورع أن أكتب حقائق توراتهم ، التى بنوها من عرق البغايا و أجساد الحظيات اللاتى يتلاعبن بفروجهن ، ليسيل منها مائهن ليسطر قصصهم فى التوراة ، التى يتبرأ منها الله - عز وجل شأنه - و نبيه موسى - عليه السلام - و أرجو من الله العلى القدير أن يتقبل منىَّ هذا العمل ، الذى أجاهد به فى سبيل الوحدة العربية و وضع عدو الله فى قالب يتناسب مع حجمهِ الضحل ، الذى أخذ فى التفحل و التعاظم .

لا تطلبن الكمـــال مـن مـن بــه نقصـــان

فالمـرء بعلمــهِ و خلقه لا بالجســم إنســان

ألهىَ هـــذه ذنـوبـــىَ فى الــورا كثـــرت

و ليس لـىَ عمــل فـى الحشـــر ينجـــينى

قد أتيتك بالتوحيد و هذا القـدر يكفيـنى

لا تجعـل النـــار يـــوم الحشـــر تكوينـىَ

المؤلف

إسلام عامر على

الإسكندرية ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٢

مقدمة الطبعة الثانية

قالت المستشرقة الألمانية زيجرد هونكة فى مقدمةِ كتابها .. (شمس الله على الغرب) ، (إن موقف أوروبا من العرب منذ نزول الوحى المُحمدى موقف عدائى ، بعيد كل البُعد عن الإنصاف و العدالة ، و التاريخ وقتذاك كان يُملى و يضع مفهومًا فى عصر كان فيه الشعور السائد هو غمط حق كل فرد يُخالف الأوروبيين عقائديًا ، و مما يُؤسَف له حقًا أن هذه النظرة القديمة التى كان مبعثها الظن بأن الإعتراف للعربىّ بالفضل خطرٌ يُهدد العقيدة المسيحية مازالت قائمة إلى اليوم ، و التعصب الدينى مازال حادًا يُهدد بإقامة الحواجز بين الأوروبيين و الشعوب الأخرى ، لذلك ينظر الغربىّ إليهم و كأنهم مُجرمون وثنيون و سحرة) .

و قد جاءت هذه الفكرة من بين آراء الفليسوف إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢) فهو أول من قرر أن الجنس السامى دون الجنس الآرى ، إذ يقول .. (أنا إذن أول من عرف أن الجنس السامى إذ قوبل بالجنس الهندى الأوروبىّ يعتبر حقا تركيبًا أدنى حضارة أو فلسفة ، و إنما هم عالة على غيرهم من الأمم كالفرس و الإغريق) .. و انتهى إلى أن .. (العقل العربىّ لا يصلح للدراسة و البحث ، لأن العقلية السامية مُجدبة كالصحراء التى نبتت فيها ، و هى لا

تقوى على التحليل و التعميق بالنسبة إلى العقليةِ الآريةِ) .

و قد أعدت هذه الحركة هى الحطب الذى أخذ يُزكى الطموحات اليهودية داخل الوطن العربىّ ، الذى لن يكفى تفككه لأرضاء أصحاب الرايات السود و الساتر الذى يتوارون خلفه ، و لعلنا نمعن فى أن إسرائيل أو شعب الله المختار هم غير الحركة الصهيونية الآثمة التى أبتدعها بن جوريون و عصابته الآثمة ، و رغبتهم فى فرض سياستهم العدوانية على العالم أجمع لا العرب فقط ، ليكونوا قرية واحدة تحمل لقبهم ، ليُصبح العالم أجمع عبيدًا لهم ، لعلهم يعوضوا ما يدعونه من كونهم كانوا عبيدًا فى مصر .

المؤلف

إسلام عامر على

قديسة التوراة





م

مال أحد جنود نوبة الحراسة على بوابةِ قصر ملك الملوك إخشويرش بن دارا ، المُتربع على عرش فارس ، بعدما كان واليًا على بابل لاثنى عشر عامًا كاملة فى ظل حكم أبيه دارا ، حاكم بلاد فارس و ما تحت لواءها ، و بعد وفاة هذا الأخير غزل ابنه إخشويرش خيوطه و حبائله ليُصبح عرش والده مُلكًا له ، و قد كان له هذا المُراد ، و أصبح ملك الملوك و شاهنشاه فارس ، و قال له مُتسائلاً و هو يُحملق فى شخص ما ينزوى بعيدًا عن جمع الجند بلباسهِ المُزركش ، و تلك الحربة التى يعتصرها بين أصابع يديه الجامدة ، و قد تسمرت أمامه كأنها هى التى تحرسه و ليس هو حارسها :

- من هذا ؟

صاح فيه زميله و هو يقبض على ذراعهِ المُمتدة نحو الشخص المنزوى ، و هو يقول له بصوتٍ هامس :

- أخفض صوتك يا رجل و لا تشر نحوه .

- و لِمَ خوفك هذا يا صاح ؟

- إنه ليس خوف و لكنه تحسُبًا للأمور ، و رغبة فى البعد عنه

- عن من ؟ .. أنت لم تخبرنى من يكون هذا الرجل ؟ .. أنا لم أبصره قبل ذلك بين جنود نوبة الحراسة .

- إنه وافدٌ جديد .

- و ما الجديد فى ذلك ؟ .. مثله مثل عشرات الوافدين علينا مع إشراقة كل صباح .

قال الآخر فى همس و نبـرات مُتوجسة ، مُبصرًا فيما حولـه ، كأنه يخشى أن تفضحه نبرات صوته الهامسة و تستقر فى أذن أحد ما :

- إنه يهودى .

بدت ملامح الأول جامدة بعض الشئ كأنه لم يستوعب ما قاله زميله ، و سرعان ما انفرجت أساريره عن ابتسامة بشوش ، فقال بحروفٍ مُزبدة بالسخرية الممزوجة بالتساؤل :

-و فِيمَ خوفك ؟ .. إنه حثالة بيننا .

و استطرد عبارته و هو يهم بالنهوض و التوجه نحو ذلك الشاخص ، الهائم فى ظلماتِ الليل ، لولا أن قاطعه زميله ، و هو يقول مُحذرًا

- احذر منه إنه شديد العداء لا يُحبذ المتطفلين أمثالك ، إنه ...

قاطعه الأول بنفس لهجة السخرية التى علقت بلسانهِ :

- إنه حثالة .

و أخذ يقترب من الجندى اليهودى رويدًا رويدًا ، و هو يتمخطر فى خيلاء بثوبهِ الأزرق المزركش .

و عندما مثل أمام اليهودى المُستكين على صخرةٍ مُتوسطة الحجم ،

سوداء اللون ، كأنها قطعة من ظلمةِ الليل ، اقتطعت و مُزجت برمل الأرض ، لتصبح هذه الصخرة التى يجلس عليها ، دبت رجفة هينة فى أوصالهِ ، و هو يتفحص فى ملامحهِ الجامدة ، التى بدت كأنها نقشت على قالبٍ من حجر الصوان ، و قد رسخت على صفحةٍ من السواد ، الذى يُضاهى لون القار ظلمة ، و قد شطر صفحة وجهه جُرح قديم ، اندمل و طاب و لكنه ترك هذا الأثر ، الذى أضفى على هذا الوجه القبيح قبحًا زائدًا ، نفض الحارس عن نفسهِ هذا الاضطراب ، الذى كاد أن يتملك من نفسهِ ، و حاول أن يستجمع قوته التى خرت أمام هذه الصفحة السوداء ، مُستمدًا لعاب حدته من حديثه مع زميله ، و قد استعار طبقة من صوتهِ ، غليظة و هو يقول مُوجهًا كلماته الآمرة لذلك اليهودى المُستكين فى هدوء ، المُغمض العينين كأنه الحمل الوديع :

- انهض يا هذا .

فتح الحارس اليهودى عينيه فى بطئ شديد ، كأنه يُحذر المُتطفل الجاثم أمامه من جام غضب قد استكان فى نفسهِ ، و قد أقسم الحارس المُتطفل فيما بعد ، إنه لم ير عين بشرى عادى عندما أبصره اليهودى ، بل كانت أشبه بعيون الثعابين و الثعالب ، لقد قرأ فيهما عداوة و كره لا حدود لهما ، كأن هذا اليهودى ُخلق لعداوة أى

شئ و كل شئ .

قال اليهودى و هو يتفحص الماكث أمامه ، و قد جفت الإبتسامة الساخرة على شفتيهِ ، لتتحول لتوجس و قلق ، بنبراتٍ جافة ، كأنها نعيق البوم ، كأنها قادمة من آلاف السنين :

- و ما شأنك أنت ؟

- أنت .. أنت .. فى نوبةِ .. أنت فى نوبةِ حراسة ، ماذا ... ؟

- لا شأن لك .

غلى الدم الثائر فى عروق الحارس إيذاء تجاهل اليهودى له ، و كلماته المقتضبة ، الهادئة ، المُغلفة بغلافِ السيادة و التسيد ، فنسى الحارس الاضطراب و القلق اللذان عششا فى نفسهِ ، فصاح :

- حنانيك أيها اليهودى ، ما غرك فى ذاتك و ذويك ؟ .. لا تحسبن نفسك كائن ذو كينونة .. أنت هنا حثالة بين أسياد ، فتخلى عن ...

اختنقت باقى الكلمات فى حنجرةِ الحارس ، التى أصبحت بين قبضة اليهودى ، لتتحول نبرات صوته الحية إلى ما يُشبه حشرجة حيوان يحتضر ، و قد وجد نفسه جاثيًا على ركبتيهِ ، و رقبته مغروسة بين أصابع اليهودى الحديدية كأنها نبت شيطانى وُجد على صفحةِ يده ، و قد تسمرت عيناه فى عينىَّ اليهودى دون إرادة منه ، و قد أدنى

اليهودى رأسه الأسود من رأس الحارس ، لتلسع سياط أنفاسه الكريهة وجه الحارس المسكين ، و هو يقول له بتلك النبرات الجافة التى تشبه نعيق البوم :

- إياك أن تتفوه بمثل هذه الكلمات .

قال هذه العبارة ثم صمت فجأة ، و قد هُيئ للحارس سجين الرأس ، أن هناك مزيد من الكلمات مازالت عالقة فى حلق اليهودى ، و هو يرى شفتيه الغليظتين تعلوان و تهبطان ، كأنه يبغى أن يقول شيئًا ما ، قبل أن يُصدر حكمه عليه بالموت بين أصابعه .

- إليك عنىّ يا نجس يا ابن الأنجاس .

وجد الحارس المسكين نفسه حر الرقبة ، طليق الأنفاس ، بعدما عتق اليهودى رأسه ، التى أعتقد إنها ستعلق فى يده مدى الحياة ، ليُحشر فى الآخرة دونها ، و يمتثل أمام الإله أهورا مزدا دونها ، فيكون فريسة لعقابهِ الأبدى ، كونه فرط فى الأمانة - ألا و هى رأسه - و هى عضو من أعضاء جسده .. تلك الأمانة التى أودعها الإله أهورا مزدا بنى البشر .. هكذا تقول مُعتقداتهم فى ديانةِ زراديشت ، فأخذ يعب من نسيم الليل المثلج ، ما كان كفيلاً بتوقف نبضات قلبه من البرد إن لم تتوقف من الخوف ، و أخذ يعدو دون مقصد ذعرًا ، غير مُصدق إنه مازال على قيد الحياة ، فيتعثر تارة ليسف من الأرض ما

جادت به من التراب ، و ينهض تارة ليواصل عدوه ، حتى غاب فى جُنح الليل .

على حين أغمض الحارس اليهودى عينيه فى هدوءٍ ، كأن شيئًا لم يكن ، و حارس كاد أن يلقى حتفه بين أصابع يده ، ليعود إلى سكونهِ و هدوءه الذى يُشبه سكون و هدوء البئر العميقة ، التى تخفى فى جوفها ثورة عارمة .

و قد كانت هذه الثورة العارمة ترقد فى طياتِ رأسهِ ، حيث ذكرياته المفجعة ، التى تؤرق منامه ، و تطارده فى يقظتهِ ...

هناك .. بعيدًا عن هذه الأرض الفارسية ...

قديمًا .. ربما منذ عام ، و ربما منذ عدة أعوام ...

حيث كان شاب ، يافع العود ، قوى البنيان ، كان له من ضربةِ السيف ما كان كفيل بفلق حجر الصوان ، و رمية سهم تمخر فى عباب الهواء لتشق نسائم السماء و ترقد فى قلب الهدف ، و له من الخيول أقواها ، و أسرعها فى العدو .

كان فارسًا لا يُشق له غبار من فرسان بنى إسرائيل ، بل كان فارسهم الأول ، لما له من دهاءٍ و ذكاءٍ و خبث يفوق ما يملكه أحبارهم ، و مهارة فى الكر و الفر تفوق ما يملكه جيش الساسنيين كاملاً .

و كان له من سيط فى بنى إسرائيل فاق ما لحق بأرميا ، آخر من بُعث فى بنى إسرائيل من عند الله فى ذلك الآن من سيط ، و كان له من الغانيات الفاتنات ما يكفى لقتل ملل لياليه و يُشبع رجولته ، التى لا تكل و لا تعيا ، و ذات يوم فوجئ كما فوجئ بنو إسرائيل كلهم بخروج ملك إسرائيل ، الذى قلما خرج من قصرهِ القابع فى أرقى ضياع بيت المقدس ، و فى كنفهِ النبى المزعوم ، الذى نادى فيهم بعبادةِ ربٍ واحد ، لا شريك له ، له مُلك السموات و الأرض ، و هو خالق كل شئ تقع عليه أبصارنا ، من حيوان و طير و بشر و جماد و قد زف لهم ملكهم أمر خروج نبوخذ نصر بن نابو بولاسار ملك بابل للقياهم فى عقر دارهم - بيت المقدس - طامعًا فى دخولها و الاستيلاء على خيراتها و ضياعها و قصورها ، و قد و عدهم أرميا المبعوث فيهم بأنه سيأخذ ميثاق من ربهِ لحمايةِ شعبهِ المُختار - بنى إسرائيل - من بطش نبوخذ نصر ملك بابل ، ذلك الجبار ، الذى خرج للقياهم فى ثوبٍ قوامهِ ستمائة جندى مُدجج بالسلاح ، على أن يثوبوا إلى رشدهم ، و يتخلوا عن عبادة أهورا مزدا و بعل و هدد و الأوثان ، و أن يهدموا ما بنوا من الأنصاب و الأزلام لعبادة هذه الآلهة المزعومة ، و أن يتخلوا عن نكاح ما حُرم عليهم من النساء ، فلا يواطئ الأب بناته ، و لا الابن أمه ، و لا العم بنات أخيه ،

حفاظًا على النسل ، و تجنبًا لغضب الإله الأعظم عليهم ، رب إبراهيم و إسماعيل و أرميا ، و هذا الكون الفسيح .

و كان موقفهم من دعوة أرميا لهم بالتقوى و الصلاح و عبادة الإله الواحد كديدنهم مع الأنبياء من السلفِ ، فكذبوه و رموه بالسحر و الجنون و كفروا بدعوتهِ .

و كما صبئوا عن دعوة أرميا كذبوا ملكهم ، و رموه بالتواطؤ مع أرميا فيما لا خير لهم فيه .

و ما كان أمامه إلا أن ينغمس فى لهوهِ و عربدتهِ كسائر بنى قومهِ من اليهود مُكذبًا لكل الحقائق التى تدور فى فلكهِ ، حتى حلت عليه و على بنى إسرائيل الطامة الكبرى .

فما برحوا يعودوا لعبثهم حتى حط نبوخذ نصر ، ذلك الملك البابلى و جنوده على أبوابِ بيت المقدس ، و شرر الفتك بهم ينبعث من عينيهِ .

و هنا تذكروا دعوة أرميا لهم ، و ما وعدهم به من حصولهِ على ميثاق من ربهِ ليحميهم من بطش ذلك الطيطان ، الذى لا يعرف للرحمة معنى ، و لا يرتضى بغير لحم البشر طعامًا له ، و لن يتورع عن الفتك بهم ، لسعيهم فى إفسادِ الأرض .

و أسرعوا لأرميا يطلبون منه حمايتهم ، و يُسجلون ولائهم لديه ، و

هو كسائر قومه ، وجد نفسه خاضعًا بين يدى أرميا ، ذلك النبى المنقذ لقومهِ ، يعظهم بما رفضوا الإصغاء له من قبل ، و وجد نفسه يتخلى عن كل شئ كان يملكه .. عبادته للأوثان ، وذلك التمثال الذى نحته بيده ليجسد جسد امرأة عارية ، هو فى حقيقةِ الأمر جسد تدب فيه الحياة كان يُضاجعه ، فعشقه ، فقرر أن يعبده ، و اضطر أن يتخلى عن نساءه و يُعانى من الحرمان ، و يحيا فى وطيس ملل الليالى التى عاشها دون نساء ، ليشعر أن المنى الذى أخذ يتكتل بين حراشف صلبه داء عضال كاد أن يفتك به ، حتى سلطانه و سيطه فقده ، فأصبح بلا نساء يدغدغن رجولته ، و لا جسد تتبعث منه الشهوة يعبده ، و لا سلطان يتباهى به .. فقط تابع لأرميا المنقذ المنتظر ، و سعى بنو إسرائيل لهدم الأنصاب التى بنوها فى السلف لعبادة آلهتهم ، و بنوا معبد عظيم الشأن ، يقدمون فيه القرابين لرب أرميا ، الذى نهاهم عن هذه العادات الوثنية ، و دعاهم للعبادة الصادقة ، الخاصة برب الكون .

و صدق الله وعده مع أرميا ، و حمى بنى إسرائيل من بطش نبوخذ نصر ، الذى تقهقر بجيشهِ بعيدًا عن بيت المقدس ، مانحًا هدنة لبنى إسرائيل ليثوبوا فيها ، و يعدلوا عن فجرهم ، ظانـًا إنه رسول مردوخ ، الذى يعبده و يُشيد له المعابد ، و يفتح الأمصار لنشر

عبادته فى الأرض .

و ظن بنو إسرائيل أن نبوخذ نصر رحل عن ديارهم بلا عودة ، فزادهم هذا غرورًا ، و زاد فى مُعتقداتهم أنهم شعب تحميهم الآلهة ، و كديدنهم الأول بأرميا ، تنصلوا من وعدهم له بعبادة ربه ، ظنًا منهم أن آلهتهم أنقذتهم من هذا الكرب لتذكرهم بضعفهم أمام الشدائد ، و تخليهم عن عبادتهم .

فسبى الأسياد العبيد الذين عتقوهم تلبية لنصائح أرميا ، و عادت الآباء لمُعاشرة بناتهم ، و الأمهات تلد من أبنائهن ، و عاد هو لعبادة ذلك التمثال العارى ، الذى يحتوى بين شقائق حجره الشهوة ، التى سرت فى جسدِ المحروم ، كأنها النيران التى ترعى فى الحطب الجاف .

و عاد بنو إسرائيل لكرتهم الأولى ، بل أشد فجرًا منها ، و دعا أرميا ربه بهلاكهم ، و كانت دعوته كفيلة بقلب موازين الكون ، فبين رعشة جفن و أخرى دمدم الله عليهم ، و أرسل لهم من لا يعرف قلبه الرحمة ، فبطش بأطفالهم و نسائهم قبل رجالهم ، و هدم قصورهم و ضياعهم و أبراجهم التى يتفاخرون بها ، ليُساويها بالأرض التى تحملها فيجعلها تلال خربة ، و يجعل مياه جيحون الصافية نهر من الدماء يروى ظمأه من دماء الضحايا .

و بين نظرة و أخرى وجد نفسه جالس القرفصاء ليُضاجع الأرض الصلدة بدلاً من مُضاجعةِ أجساد النساء الطرية ، ضمن آلاف معدودة من الأسرى من بنى جنسه ، ممن فقدوا عزتهم و جلالهم على يد هذا البابلى ، و أصبح مُنكس الرأس فى ذل و هوان ، و قد مر جانبه جنود نبوخذ نصر يحصون عدد أسراهم .

- ألف .. ألف و واحد .. ألف و اثنان ...

لقد أصبح الأن عبارة عن رقم تتفوه به الألسن ، دون اعتبار لما حققه من انتصارات و فتوحات لبنى جنسه ، الذين أصبحوا الآن ما بين قتلى و جرحى و سبايا لدى الملك البابلى ...

- ما عدد أسرانا يا قائد الجيش ؟

- إنهم كنجوم السماء يا ملك الملوك نبوخذ نصر .

- أفصح عن عددهم أيها الغبى .

- أنهم .. أنهم قرابة أربعين ألف يا ملك الملوك ، و حاكم فارس و ما تحت رايتها بلواء الحكمة و العدل .

- يا مردوخ العظيم .. أربعون ألف من يهود بنى إسرائيل .. إنها لطائفة عظيمة لبنى اليهود تعيث فى الأرض !

- عفوًا يا ملك الملوك و باطش بأعداء الإله المُعظم مردوخ أبى الآلهة .

-ماذا هناك ؟

- إنهم توليفة من الأسباط العديدة التى ينحدر منها اليهود ، فمنهم نحو سبعة آلاف من أهل بيت داوود ، و سبعة عشر ألف من سبط يوسف بن يعقوب و أخيه بنيامين ، و نحو ثمانية آلاف من سبط آشر بن يعقوب ، و نحو أربعة آلاف من سبط يهوذا و نفثالى بن يعقوب ، و مثيلهم من سبط يهوذا بن يعقوب جد اليهود .

- لا يهم .. فكلهم نبتة شر لا تطرح للأرض سوى الخبيث .

و حارت نفسه إلى أى فئة ينتمى ، فهو لا يعرف من أى أصل ينحدر ، و لا أى صُلب ألقاه فى هذه الدنيا ، فهو لا يعبد آله من آلهة هذه الفئات العديدة ، و الأسباط الفريدة ، و لا يُقدم القرابين لبعل و لا هود و لا لأوثان سبط يهوذا و نفثالى أبناء يعقوب ، فهو لا يؤمن إلا بالإله الذى يمنحه الأجساد العارية كل ليلة ، و لا يقدم قرابينه إلا لجسد المرأة التى تمتعه .

-مردخاى .. مردخاى .

رفع رأسه المُنكس ، ليرى صاحب هذا الصوت الذى يتفوه بحروف اسمه ، الذى سيُصبح بعد قليل ذكرى ، سرعان ما تنسى و ينسى التاريخ كل صنائعه .

إذا فلقبه مردخاى ، أحد يهود بنى إسرائيل ، الذين انحدروا من

صلب إسحاق .

حملق مردخاى فى وجه صاحب الدعوة ، و قد وجد فيه نفسه ، وجد بعض ملامحه منحوتة فى ذلك الوجه الذى يُبصر فيه .

- كيف حالك يا أخىَّ ؟

- كيف حالك أنت يا مردخاى ؟

- حالىَّ ! .. كما ترى ، أسير لملك بابل الذى سلبنا عزتنا ، و سأكون بعد قليل رفات يُدثرها التراب لتمحى ذكراى من الوجود .

- كلنا أسرى ، و كلنا ملاقو هذا المصير يا أخىَّ فلا تبتئس .

أبتسم مردخاى على الرغم منه ، و هو يقول فى استهجان مزيج بالسخرية :

- لا أبتئس ! .. إنك تتحدث كأننا فى نزهة خلوية ، أو أسياد حرب .. نحن أسرى .. أتعلم معنى هذه الكلمة يا شقيقىَّ فى التوراة .. معناها أن مصيرنا الموت و الفناء .

- أعلم .. أعلم كل هذا يا مردخاى ، و لكن عزائىَّ هو أننا سنفنى سويًا ، لنقدم أرواحنا قربانًا إلى يعقوب و يوسف مُخلصين لهما الدين .

- مُخلصين لهما الدين ؟! .. عُذرًا فقد نسيت أن شقيقىَّ الأكبرَ هو أحد أحبار هذه الأمة الفانية على أيدى البابليين .

قال مردخاى هذه العبارة و هو يُبصر ما فى حجر أخيه ، فقد وقعت عيناه على آية من الجمال و الفتنة ، كأن جمال الدنيا كله و فتنة نساء العالمين الغابرين منهن و الحاضرين اجتمعا فى ملاحةِ الفتاة التى ترقد بين قدمى شقيقه ، بوجهها الأبيض الناحل ، كأنه قطع الثلج التى تغطى بيت المقدس فى موسم لا يعرف للقيظ وجود ، و تلك الخصلات الذهبية ، التى تشبه سلوك الذهب الصافى .. كان كل ما فيها دعوة صارخة لإيقاظ الشهوة داخله ، و أمنية تُرسم فى فضاء مُخيلته حتى ينال منها عُذرية فشل من سبقوها فى الحفاظ عليها ، و لكن كيف له أن يصبو لهذه الأمنية الموعودة و هو على مشارف الموت مع قومه على يد جنود نبوخذ نصر ؟ .. فشعر بغصةٍ مريرة فى حلقهِ و هو يستشف فى نفسهِ الشهوة و هو عاجز عن نيل ما يُطفىء جذوتها ، فأخذ يُمنى نفسه إنه ربما سينالها فى يوم من أيام أخرته ، التى دنا منها ، فقال سائلاً أخيه فى خيبةِ أمل :

-و من تكون هذه الفاتنة ؟ .. أهى جاريتك ؟

-حاشا لرب يعقوب أن أقتنى جارية .. هذه ابنتىّ إستر .

-هل كتب عليك أن تنكح امرأة ، و تنجب منها ؟

أبتسم الشقيق و هو يقول :

- هذا أمر مضى عليه عشرون حولاً من الزمن .. و كانت

النتائج مُثمرة ، فها هى إستر ابنة تسعة عشر عامًا .
لوح مردخاى بيديه للفتاة يدعوها أن تقترب منه ، على حين قال لها والدها مُحثًا لها على تلبيةِ دعوة شقيقه :

- اذهبى .. فهو عمك الذى كتب لك أن تريه لأول مرة ليكون لقاءك له بمثابةِ وداع .

نهضت إستر من مرقدها و هى تتكأ على فخذى والدها ، و ترتمى ما بين فخذى عمها ، الذى أخذ يمتع نظره بما ملكت الفتاة من ملكات الأنوثة ، و ...

- ماذا تفعل يا عدو التوراة ؟

هلل شقيق مردخاى بهذه العبارة ، و هو يُبصر كتب التوراة التى كانت تُعمر بيوت آل إسرائيل ، تُلقى على الأرض أسفل قدم نبوخذ نصر ، مكونة كومة لها مرءا الهرم الصغير ، بعدما جمع جنود الملك الكتب المُقدسة من الدور المُتهالكة على آثر ضربات السيوف و المجانيق ، و الدور المُتداعية من الخوف و الرهبة ، و المعابد التى أصبحت من الغابرين ، ليضرم فيها النيران ، ليمحو كل آثر لليهود ، أو أى صلة كانت تربطهم بهذه الأرض المُقدسة .

حاول الحبر أن يفك من حصار الجنود المُلتفين حوله لينقض على ملك الملوك و يفتك به ، كما يفتك الأسد الجائع بفريستهِ ، و لكن أحد

الجنود عاجله بطعنةٍ حادة من سيفهِ ليُرديه قتيلا أسفل قدمه ، و كان آخر ما رآه النيران التى تلتهم صفحات التوراة ، و تلك العيون التى تنهل من دموعها ما تبكى به التوراة الضائعة ، التى هبطت على موسى ، ذلك المبعوث فيهم بالهدى و التقوى ، و من مُجمل ما رآه رأس ابنته إستر المدفون فى صدر عمها مردخاى ، و هى تذرف الدموع لفراقه ، و ...

انتهى كل شئ ...

- فليتم تقسيم الأسرى إلى ثلاثة فرق ، ُتنفى الأولى منهم إلى بلاد الشام ، و الثانية أسرى ، يُباع الرجال منهم فى سوق النخاسة ، و ُترسل النساء لقصرىَّ ببابل لتقدم كقرابين للإله مردوخ ، أما الفئة الثالثة فيقتل أفرادها ، نسائها و أطفالها و شيوخها و رجالها .. هيا .

عم الاضطراب و الذعر بين آلاف الأسرى من بنى إسرائيل ، فالرجال يتدافعون فى القتال ليكونوا من الفئةِ التى ستبقى على قيد الحياة ، لتباع فى أسواق النخاسة بعد ذلك ، و النساء يتصارعن ليكن من سبايا الإله مردوخ ، لعل جمالهن و ملاحتهن تجعل الملك يستقطبهن لنفسه دون الإله مردوخ ، و دوت الصيحات لتشق السموات السبع ، و الأقدام التى كانت تعمل فى عداء ضجرت منه الأرضين السبع ...

و النتيجة ...

إن مردخاى ُكتبت له الحياة ، ليُباع فى أسواق النخاسة ببابل ، و قدر لإستر ابنة أخيه ، أن تكون من سبايا الإله مردوخ ، و بهذا وُلد الأمل للمرة الثانية فى نفس مردخاى ، بعدما ُكتبت له النجاة ، و لكن الأقدار شاءت أن تفرق بينه و بين تلك الفتاة ، التى أضرمت نار الشهوة فى نفسهِ ، فقد قدر لجمالها الذى لن تشهد الأرض مثيله بعد ذلك أن يُصبح قربانـًا ، و هو أصبح عبدًا لرجل فقير ، لم يكن صاحب ضياع و قصور ، بل كان صاحب عمل اشتراه ليُعاونه فى عمله ، و استسلم مردخاى لقدره الجديد ، و أخذ يعمل بجد و اجتهاد ، حتى حصل على ثقةِ صاحبهِ ، ثم كاتبه على أن يهبه حريته لقاء مبلغ كبير من المال ، و كان يعلم إنه يشق عليه جمع مثل هذا المبلغ فى فترة وجيزة ، فأخذ يجمع ما تيسر له من الأموال المشروعة و الغير مشروعة ، عامًا تلو الآخر ، و هو يُبصر فيما حوله من تغير فقد دارت الدائرة على أهل بابل ، و ُقضى على مملكة بابل و صاحبها نبوخذ نصر ، و ذهبت معها عبادة مردوخ و سين و شمس و عشتار و سائر الآلهة التى كانت ُتعبد فى بابل ، لتزدهر من بعدها الإمبراطورية الفارسية ، لتجوب رايتها الأرض شرقها و غربها ، لتصبح إمبراطورية فارس هى القوة الحاكمة ، الضاربة فى مشرق

الأرض و مغربها ، و الفضل فى هذا يرجع لتعاليم زراديشت ، التى بثت فى النفوس إيمانـًا عميقـًا ، و كان السر فى هذا الانقلاب التاريخى و زوال البابليين هو قورش ، إمبراطور فارس ، الذى أباح لليهود أن يعودوا إلى أورشليم بعدما هَزم البابليين و دخلها ، و قد منحهم ما تبقى فى خزائن الدولة البابلية من الذهب و الفضة اللذين أغتصبهما نبوخذ نصر من هيكل سليمان ، الذى هدمه انتقامًا من بنى إسرائيل عندما دخل بيت المقدس ، و أمر الجماعات التى كان اليهود المنفيون يعيشون بينها أن تعينهم بالمال الذى يحتاجون إليه فى أثناء رحلتهم الطويلة إلى وطنهم .

و مرت السنون فى عُجالة من أمرها ، كأنها الوحوش الضوارى تلتهم بعضها البعض ، و قد أصبح مردخاى حرًا ، بعدما نجح فى فك رقهِ ، و منح صاحبه ما قد كاتبه عليه من مال .

لقد خرج من أسر صغير - منزل الرجل الفقير - إلى أسر أكبر منه ، لقد كان فى أسره الأول يجد قوت يومه ، و مكان يأوى إليه فى نهايةِ يومه ، أما الآن فهو حر ، و لكنه شريد ، لا مال يُعينه على الحياة ، و لا تجارة يحيا على رمقها ، و لا حتى مأوى يحميه من ضوارى الفيافى .

و بعد طول حيرة اهتدى عقله لأن يحُط على بلاد فارس ، التى كانت

تضم بين ضلوعها قورش نصير اليهود ، و من أعاد لهم أورشليم المقدسة ، و لكن السنون التى مضاها فى الرق محت من سجلاتها قورش و من بعده قمبيز و دارا ، ليُصبح إمبراطور الفرس فى هذه الآونة هو إخشويرش بن دارا ، مُخمد ثورات مصر و الفتن التى اندلعت فيها ، و هادم معابدها و قاتل كهنتها ، و ناهب كنوز بابل و البابليين ، و لكن لا خيار أمامه سوى هذا الاختيار ، لعله يمخر فى عضال الإمبراطورية الفارسية ، ليجد له فيها مكانًا و مكانة ، كأقرانه من اليهود الذين توسعوا فى سلطانهم مع توسع الإمبراطورية الفارسية .

و دخل الإمبراطورية الفارسية ، ليجد أمامه مُفاجأة كادت ترديه قتيلا ، لتمحو ما تبقى له من سنواتٍ قد يحياها ، لقد أبصر ذات مرة أثناء تجواله فى أحدِ الأسواق آخر شخص توقع رؤيته ...

كانت إستر ابنة أخيه ، الذى قتل على يد جنود نبوخذ نصر دفاعًا عن التوراة المحروقة ، و لكنها بدت فى عينيهِ ساحرة بقوامها المشدود ، و صدرها المكتنز ، الذى يطوى بين بنانه ثديين كحبات البرتقال الناضجة ، و قد برز منتصفهما من عنق ذلك الثوب الأبيض ، الذى يكسم جسدها فى فتنةٍ ، كاشفًا عن ذراعيها المرمريان ، و ذلك الصدر النافر ، و بدا مردخاى كالسكران ، و هو يُحملق فى

شفتيها المضمومتين فى حياءٍ ، بلونيهما الأحمر الصارخ ، كأنهما حبات الكرز الدامية ، و عيناها الزرقاوتين اللذان خدرا عقل مردخاى ، كألف كأس من الخمر المعتقة ، و هو يُحدق فيهما فى بلاهةٍ .

و تقدم نحوها كالمسحور مُذكرًا إياها بنفسهِ ، و كان يخشى أن تكون سنوات عمره الغابرة التى قضاها فى الرق ذهبت بكل معالم وجهه ، الذى حل عليه بعض الشيب ، خاصة بعد إصابته فى وجههِ من جراء حافر فرس أبق ، خلفت جُرح عميق شق صفحة وجهه ، ليبدو كالمسخ فى عين من يراه .

و لكنها عرفته على الرغم من سنوات عمره المتقدمة ، و خصلات شعرِه الشعثاء البيضاء كما ثوبها الناصع ، و ذلك الجُرح فى وجههِ ، و أصابتها سعادة غامرة لرؤيتها له ، كونه الوحيد من ذويها الذى أبصرته عيناها الساحرتان فى هذه البلاد الشاسعة ، النافرة الأطراف ، و كتب عليه أن يحيا معها فى منزلها المُتواضع ، الراقد فى أحد الأحياء الوضيعة التى يسكنها السحرة و المُهاجرين من بابل و كوش و جنوب مصر .

وقد دغدغه شعور عجيب و هو يسير بجوارها ، جعله يعود بذكراتهِ لأيامهِ الخوالى ، التى كان يُعاشر فيها كل ليلة جسد ، لا يمر على

عينيه بعد ذلك ، و لا يذوق عسيلته مرتين ، و أحس بقوةٍ عجيبة تدب فى جسدهِ و تسرى فى عروقهِ مسرى الدم ، و هو يلف ذراعه حول خصر الفتاة ، كالثعبان الذى يلتف فى نعومةٍ و حذر حول فريستهِ حتى ينالها ، قوة عجيبة أيقظت تلك النيران التى أضرمتها فى صدرهِ رؤيته لها لأول مرة و هى راقدة بين قدمى أبوها ، و دخل منزلها الصغير ليمضى لياليه فيه .

و قد علم منها فيما بعد قصة وجودها فى بلاد فارس ، بعدما رحلت مع سائر السبايا الذين رحلوا إلى بابل ليقدمن قربانًا لآله نبوخذ نصر مردوخ ، الذى عدل عن ذلك و احتجزهن لنفسهِ و لمُتعته الشخصية ، مُدعيًا أن مردوخ تنازل عنهن له مكافأة للنصر الذى حققه على بنى إسرائيل .

و أخذ ينهل من أجسادهن كل ليلة ما يشاء و من يشاء ، حتى دخل قورش إمبراطور الفرس بابل و هزم البابليين و منحهن حريتهن ليحيين كأسياد لا كجوارى ، و خيرهن ما بين العودة إلى وطنهن الأم - بيت المقدس - أورشليم ، أو الهجرة و النزوح إلى بلاد فارس .. و ها هى تمرح بين الفرس كأنها واحدة منهم .

و تمضى الأيام و الأسابيع دون جديد فى حياة مردخاى ، الذى عزم الأمر بادئ ذى بدء على أن ينحت فى فارس ليجد لنفسهِ مكانًا و

مكانة ، حتى قرر أن يستغل جسد إستر الساحر فى اقتحام صفوف الجيش الفارسى ، لعله يُصبح ذات يوم من حاشيةِ إخشويرش .

و كان له ما رمى إليه ، و نجح جسد إستر فى استمالةِ قائد الجيش الفارسى ، ليُصبح مردخاى جندى من جنود الجيش الفارسى ، و أصبح له ثكنة خاصة من ثكناتِ الجيش التى أعدت للجنود ، أنتقل فيها هو و إستر ، و لكنه لم يتأقلم مع السلاح و ركوب ظهر الخيل ، فسنوات عمره المتقدمة لم تبق على مهارتهِ فى الكر و الفر و ركوب الخيل .

و كان لجسدِ إستر دورًا هامًا فى أن يُصبح حارس لقصر الملك إخشويرش ، لينتقل هو و إستر من ثكناتِ جند الجيش إلى ثكناتِ حرس القصر الملكى .

- انتهت نوبة الحراسة الليلية فليخل الحرس الليلى مواقعه .

عاد مردخاى لواقعهِ على آثر عبارة كبير الحرس ، الذى يُعلن فيها عن انتهاء نوبة حراسته ، فنهض و هو يجُر أذيال الصمت خلفه ، و هو يسير فى خطى مُتثاقلة نحو ثكنته .

دخل مردخاى ثكنته ليجد إستر تبصر صورتها فى المرآة ، آخذة فى مُداعبةِ نهديها ، و تمرر يديها على جسدها فى رعونةٍ ، كأنها تطمئن إلى أن جمالها و شبابها مازالا باقيان .

- ما أجمل هذا الجسد الذى وهبتى إياه يا إستر ! .. إن له من الفتنةِ و السحر ما يجعل الصخر يذوب كالماء بين خلجاتهِ .. إن هذا الجسد لابد أن يُستغل فى شئ ما أسمى من كونهِ وعاء للمتعةِ و الشهوةِ .

- لا أفهم مقصدك يا عماه .. أفصح عن بغيتك .. هل تريد أن ترتقى درجة أعلى من حارس قصر ملك الملوك إخشويرش ، صاحب فارس و ما تحت لوائها ؟

ثم تابعت عبارتها بأن أطلقت ضحكة خليعة و هى تقول فى سخريةٍ و مجون :

- هل تريد أن تصبح حكيم القصر بدلاً من ميموكان .. أم تريد أن تصبح وزير إخشويرش بدلاً من هامان ؟ .. تمنى يا عماه علىَّ ما شئت ، فلا شئ يستحيل على إستر و جمالها ، الذى يتلاعب بقلوب الرجال كما يتلاعب المُهرج بكراتهِ .

- لقد ضجرت من حراسةِ هذا الإخشويرش ، الذى يرتع فى النعيم و يرفل بين الذهب و الفضة ، و ينهل من خيرات البلاد .. لقد خلقت لأكون أعظم من كونى حارس على بوابةِ ملك فارسى .. لقد وُجدت فى هذه الدنيا ليُخلد اسمىَّ فى التوراة مع القديسين و إسحاق و يعقوب .

جلست إستر بجوار عمها مردخاى ، و أخذت تمرر أصابعها بين خصلات رأسهِ التى ضرب الشيب فيها ، و هى تقول فى تحدٍ :

- أقسمُ لك يا عماه إنك جديرٌ بهذا ، و لكن كيف يتسنى لنا أن نحقق هذا الحلم ؟ .. إن كان علاج هذا الأمر فى جسدىَّ فهو لك .. أفعل به ما شئت .

قبض مردخاى على يد إستر ، مُحاولاً إخماد ما بدأ خلقه ينبت من شهوة داخله ، و نهض مُبتعدًا عنها مُحاولاً الفرار من نظراتها الحادة التى تدعوه فى إلحاح ، و لكنه الأن أصبح لا يملك القوة التى يستطيع أن يُجارى بها شبابها ، و هو يقول :

- إن ما تقدميه من إهانةِ جسدك اليهودى الطاهر ، الذى يتمرمغ فى أحضان أعداء اليهودية أمثال قائد الجيش و قائد الحرس الملكى ، ما هو إلا تضحية عظيمة ُتبذل فى سبيل رفعة اليهود و اليهودية ، و تأكدى أن التوراة و أحبار التوراة المُخلصين أمثال أبيك لن ينسوا لك هذا العطاء .

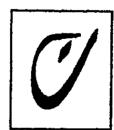
مطت إستر شفتيها فى امتعاض و خيبةٍ ، و هى تصغى لعبارة عمها المُسهبة ، التى يُشدو بها كل ليلة على مسامعها ، عندما ُيقرر الفرار من براثنها ، فأرادت أن تختصر ليلتها الجافة ، و ترحم أذنيها الجميلتين من عباراتِ عمها الهرمة ، و هى تقول له فى إزدراء و

تأفف :

- ليلة طيبة يا عماه .

و تظاهرت بأنها تغط فى ثباتٍ عميق لتعفيه من الحرج الزائف ، الذى يتصنعه كل ليلة .

- طابت ليلتك يا إستر يا ملاك توراتنا الجديدة .



تقدمت سنون الحكم بإخشويرش ، فزهد فى الفتوحات و فتح الأمصـار و زيـادة رقعة الإمبراطـوريـة الفـارسيـة ، و استسلم لتيـار الشهـوة ، ليسقـط فى لجـةٍ من الحفلات الصاخبة ، التى تملأ فيها الأقداح بالخمر المُعتقة ، التى لا تنضب و لا تجف ، كأنها نهر من العطاء الذى لا ينقطع ، و تعرى أثناء سويعاتها التى لا تنقضى أَجساد الغانيات ، لتلعب بروؤس الأسياد و تلهيهم عن السياسة و فنون الحكم ، و تغنيهم عن التطلعات فى فتح الأمصار ، و إخماد الفتن و الثورات .

و كان لليهود النازحين لبلاد فارس تطلعات فى ملك إخشويرش ، و قد رأوا أن ملك الملوك قد استكان للترف فما أيسر أن يستولوا عليه ، و أن يجعلوه ألعوبة فى يد غانية يهودية ، لا تعرف للشرف معنى ، و لا للحياء وجود ، تكون ماجنة مجون سالومى ابنة أنتيباطر أبو هيرود ، شقيقة فزائيل و فرواوس ، وما أكثر الغانيات الفاجرات فجور سالومى فى بنى إسرائيل .

و كما كانت السنون كفيلة بزعزعةِ عرش إخشويرش ، و قادتـه من الفتوحات و النصر إلى الرذيلة و الفجور كانت إيضًا لها دور عظيم فى تغيير حياة مردخاى ، الذى نجح فى توطيد علاقته بحكيم المملكة ميموكان ، الذى لا يخطو الملك إلا بخطاه ، و لا يأتى على أمر ما

إلا بمشورتهِ ، ليُصبح كلاً منهما خير نديم للآخر ، فيفضى حكيم المملكة ميموكان لمردخاى بأدق أسرار الملك و المملكة ، و ما يدور بين جنبات القصر ، على أن يُخبره مردخاى بما يدور خارج جدران القصر من هيافاتِ الأمور ، و من جانب آخر أغدق الخصيان السبعة الذين لا يفارقوا ملك الملوك لا فى النهار و لا فى الليل بأثمن الهدايا حتى يكونوا طوع بنانه .

و بهذا أصبح له قوة ضاربة داخل مملكة الفرس يستطيع من خلالها الوصول لقلبها .. الملك إخشويرش ، ليستمل قلبه نحوه و يرفعه إلى جواره ليكون من حاشيته الخاصة .

و ذات صباح أبلغه الحكيم ميموكان أن ملك الملوك إخشويرش ، قرر أن يُقيم حفلاً عظيمًا ، قوامه مائة و ثمانين ليلة من المرح و السرور ، يجمع فيه الأمراء و أشراف قومه و رؤساء مملكته .

و كان الغرض من هذا الحفل الذى لم تشهد مثله البلاد فى طول الأرض و عرضها أن يرى التقدير و الخضوع فى عين رعاياه ، ليذكرهم إنه مازال ملك الملوك إخشويرش ، فاتح الأمصار ، و مُشيد الحضارات و مُخمد الثورات ، و إنه قادر على حمايةِ إمبراطوريتهِ فى ظل عربدته و لهوه كما كان يفعل من قبل .

و كانت أولى ليالى الحفل العظيم ، و قد عجت حديقة القصر

بآلاف الحضور من الأمراء و أشراف المملكة و رجال حاشية الملك ، و قد أبدع الطهاة فى إفنادِ عشرات ، بل الألوف من أصناف الطعام ، و امتلأت سماء القصر بصخبِ الحضور ، الذى مزج بصوت الآلات الموسيقية الهادئة ، حتى هبط فيهم الملك إخشويرش فى لباسٍ ذهبى اللون ، قد صُنع من خيوط الذهب الخالص ، و قد ُطعم بالأحجار الكريمة ، التى أضفت على الملك عظمة و وقار ، كأنه عدة شموس صغيرة ، تضوى فى بهجةٍ ، و قد انسابت حرملة سوداء خلف ظهره ، كأنها خصى أمين يتبعه فى ذهابهِ و إيابهِ ، و قضى الصخب نحبه ، لتحل محلها الهمهمات المُتعجبة ، الفارة من حلوق الحاضرين لتعلن إعجابها المفتعل بهيئةِ الملك ، الذى بدا كأنه طاووس يسير على الأرض بخطى رقيقة ، كأنه يود ألا تطأ قدماه الأرض و هو يتبختر بجمالهِ و بهيج طلعته .

و جلس إخشويرش على عرشهِ الواقع فى منتصفِ حديقةِ القصر ، و أمر بدخول الجوارى عليهم بأمتع الرقصات على أنغام الموسيقى ، التى أخرجت ما فى جعبتها من ألحان و نغماتٍ أخذت تتلوى على آثرها أجساد الجوارى ، الشبه عاريات فيما عدا ما يستر عوراتهن ، و أخذن يتمايلن مع الأنغام فى رعونةٍ ، كأنهن الأفاعى تتراقص على نغمات الناى ، و عم الحبور بين الحضور ، و هم يعبون فى أجوافهم

عشرات من كؤوس الخمر التى اذهبت بعقولهم ، و كان مرءا أجساد الجوارى العارية كفيل بإذهاب ما تبقى من عقولهم من رشد ، ليُصبح السيد فيهم أقل شأن من عبده .

على حين تقدم الحكيم ميموكان من منتصفِ الساحة و هو يُلوح بيديهِ راغبًا فى هدوء الحضور و صمتهم ، و كان منهم من يعرض عن الصمت و يُريد أن يُزبد فى الحديث ، و بعد ما يربو من الدقائق العشر ، ساد الصمتُ و الهدوء بين الحضور ليفسحوا للحكيم ميموكان مجالا للحديث .

- لقد خص ملك الملوك إخشويرش بن دارا بن قمبيز المنحدر من سلالة قورش العظيم ، خير جنود الإمبراطورية الفارسية ، التى تحوى شرق البلاد و غربها بين عباءتها الأمراء و أشراف قومه و رؤساء مملكته بهذا الحفل الميمون ، الذى يمتد لمائة و ثمانين ليلة .. الليلة تلو الأخرى ، تكريمًا لهم و لنسبهم الكريم ، و حفاوة بهم و بشعبهِ العريق ، و قد رمى مولانا العظيم إخشويرش إلى الإحتفال بشعبهِ الذى سانده فى فتوحاتهِ و توسعاتهِ ، و سانده فى أحزانهِ و أفراحهِ ، حتى صارت فارس إمبراطورية لا يعرف الظلام سبيل لأرجائها .. و لكى تكتمل سعادتنا و حبورنا المُستمد من سعادة و حبور ملك الملوك و شاهنشاة الفرس لابد أن يُشاركنا عامة الشعب

هذا الحفل اليوم تلو الآخر ، حتى تنقضى أيام الإحتفال المائة و الثمانين ليلة .

عمت الفوضى سماء القصر للمرة الثانية ، و قد ألقى الحضور الكؤوس و الأباريق و الأوانى المعدنية المصنوعة من الذهب الخالص و الفضة المُطعمة بالأحجار الكريمة مُحتجين على ما قاله الحكيم ميموكان ، ومنهم من أخذ يهتف فى جذل طفولى و يُصفق بيديهِ مُؤيدًا ما رمى له الحكيم ، الذى أكتشف ما سيقضى على ملل هذه الليالى الطويلة ، التى ستعج بنغمات المُوسيقى و رقصات الجوارى و اللحوم التى ستملأ البطون ، و على الرغم من هذا كان الملل من سماع الموسيقى و رؤية أجساد الجوارى العارية و ملأ البطون بشتى أصناف الطعام كان سيتسلل لصدورهم ، و يُفسد عليهم الحفل ، و لكن الحكيم ميموكان رمى لإمتاعهم بسذاجةِ و فطرة الشعب البسيط ، الذى لا يعى ما يدور فى حفلاتِ الملوك و الأمراء ، بل كل ما يجيدون عمله هو السعى خلف أقوات أيامهم ، أو هذا ما تراءى إلى أذهان الأمراء الثملة ، بينما أبتسم إخشويرش و هو يضرب بيديهِ الهواء ، قائلاً :

- إنها لفكرةٍ رائعةٍ أيها الحكيم .. فليُدعى كل فرد فى ممكلتىً لحضور الحفل .. الشيوخ و النساء و الرجال ، حتى الأطفال ، و

الأطفال الرضع .. أريدُ عامة شعبىَّ يُشاركونىَّ فرحتىَّ .

و صفق الحضور فى تبجيل ، المُعترض منهم قبل المؤيد ، فقد صدق ملك الملوك على ما قاله ميموكان ، و رأى أن هذا فيه إسعاد لحضوره .

و لعبت الخمر برأس إخشويرش ، الذى نهض من عرشهِ ، و حاول أن يخطو خطوة واحدة ، و لكنه كاد أن يسقط على الأرض ، لولا أن سانده بعض الخصيان التابعين له كظله ، و حملوه و هو جالس على عرشهِ نحو مخدعه داخل القصر .

و بعدما غاب الملك عن أنظار الحضور ، هم كل مدعو أن يستعد لمغادرة القصر الملكى ، فلا حفل بدون ملك ، و الكل يسير مُترنحًا ، مُتخبطًا فيمن يُجاوره ، حتى خلا القصر على عروشهِ مع أشعة الشمس البكر لليوم التالى ، التى أخذت تنتشر على اليابس الأخضر فى كسل و خمول .

و حانت الليلة الثانية من الحفل ، و لكن هذه الليلة كان لها مذاق خاص يختلف عن الليلة الأولى ، فكان هناك حشدٌ غافر من أفراد الشعب المُحصورين بين جدران القصر ، الذى بدا كعلبةٍ من الصفيح اكتنزت بما فيها من حشو فكادت أن تنفجر ، و انقسم عامة الشعب إلى فئتين .. النساء و بناتهن يُجالسن الملكة وشتى فى مخدع خاص

'أعد للنساء ، منعًا للاختلاط بالرجال فى حضرةِ الملك ، أما الرجال فكانوا يرفلون فى جنباتِ حديقة القصر ، مُندمجين مع الأمراء و أشراف القوم ، فلا يستطيع الناظر أن يُفرق بين علية القوم و سادتها و بين عامة الشعب من التجار و الموظفين و الحدادين .. إلى آخر هذه الفئة المحدودة ، خاصة و قد ارتدى كل واحدًا منهم أغلى و أفخم ما يملك حتى يتناسب مع عظمة المكان الذى سيتواجد فيه ، و بدأت الأمسية ببعض الهرجلة و الفوضى ، التى نتجت من تأفف بعض الأمراء و الشرفاء من تواجد فقراء الشعب بينهم ، حاسبين أن هذا التصرف الصلف إهانة من ملك البلاد لهم و لنسبهم الشريف ، الذى ينحدر من سلالةِ عظماء الكون ، و مع حلول إخشويرش و إندماجه بين عامة شعبه هدأت الأمور ، و أفترش أفراد الشعب أرض الحديقة و هم ينصتون لنغمات الموسيقى ، التى لم يُكتب لهم قبل ذلك سماع مثلها ، و البساطة و الفطرة تغلف تصرفاتهم ، التى أعجب بها بعض الأمراء الذين تباسطوا فى أمورهم ، و تنازلوا و ترفعوا و جلسوا على الأرض الخضراء ، و هم يُبصرون بعيون دهشة لأجساد الجوارى التى تتمايل فى خفةٍ و دلال لم يشهدها القصر من قبل ، و ربما كانت هذه الحماسة نابعة من وجود ذويهم بينهم يُشاهدون إبداعهم ، و كانت هذه العيون التى رأت هذا المشهدُ

مرارًا و تكرارًا استمدت دهشتها و تعجبها من عيون أفراد الشعب الفقراء ، الذى حرمهم القدر أن يروا مثل هذه الأجساد ناصعة البياض ، شديدة البريق و اللمعان ، كان هذا الدلال و التيه خارقًا لما تعودوا على رؤياه فى نسائهم من خشونةِ الملمس ، و سواد البشرة ، و قذارة الأعضاء ، و تحجر الأجساد ، فكانت مُفاجأة لهم أن يروا مثل هذه المواهبُ المخزونة فى نساءٍ من أهل هذه الأرض .

أما مخدع النساء ، الذى خصصته الملكة وشتى لنساء رعيتها ، فكان يزخر بصيحاتِ النساء أثر بعض الدعابات المُتداولة بين نساء الأشراف و النبلاء و نساء عامة الشعب ، و أخذ الليل يمضى ، لتنفتل خيوطه رويدًا رويدًا ، و قد كان للخمر آثرها فى توطيد العلاقات بين السادة و أفراد الشعب ، فكان السيد يشعر إنه يُجالس سيدًا مثله لا فرد من رعاياه ، أو إنه أصبح فردًا عاديًا يُجالس جاره ، و كذلك هو الحال ، فقد كان الحداد يشعر إنه أصبح إخشويرش ذاته و من يُحيط به هم أفراد رعيته المُعذبين فى الدنيا .

و من بعيد كان مردخاى يُراقب كل هذا بعقل واعٍ ، راشدٍ ، لم تداعبه الخمر ، و كذلك كان حال الخصيان السبعة و الحكيم ميموكان ، و الوزير هامان ، الذى كان مُتأفف لهذا التصرف الذى يخلو من الحكمةِ ، الذى تأتى به الملك و حكيمه ، و وسط خضم الحفل ،

نهض الملك إخشويرش و كأس الخمر فى يدهِ ، و قدماه تئن من حملهِ ، فكان يترنح يمينـًا و يسارًا و هو يقول مُتباهيًا على آثر تأثير الخمر :

- أنا ملك هذه البلاد ، و رب هذا الكون ، و لقد منحنى أهورامزدا من عطايا الدنيا ما لم يمنحه لبشر سواى ، فقد منحنى مُلك هذه البلاد المُترامية الأطراف ، و كانت خيرُ إرث من والدىَّ الراحل دارا ، و قد منحنى زوجة هى أجمل نساء الأرض ، فهى فتنة تحيا بين البشر ، فلها من القوام ما يتعذر وجود مثله بين الغزلان البرية ، و عينان بلون السماء التى أطويها بين بنانىَّ ، و ... أبتلع عباراته فجأة ، و هو يرتمى على مقعدهِ آثر فواق عنيف ألقاه فى عنفٍ ، على حين ثار الحضور غير مُصدقين كلام ملكهم ، و قد لعبت الخمر بعقولهم ، فظنوا أن المُتحدث هو نديم لهم ، فتباسطوا معه فى الحديث ، و قذفوه ببزئ الكلمات ، و نادى الملك خصيانه :

- برتا .. حربونا .. اذهبا و أخبرا الملكة وشتى إنىَّ أطلبها هنا بين يدىَّ ليرى شعبىَّ جمالها البديع .

و قد اصغى مردخاى كما أصغى الحضور لكلماتِ الملك ، و لكن ما دار فى خلدِ مردخاى كان أشد فتكـًا من سم الحية ، فقد رأى أن هذه اللحظة كفيلة بأن تنحت اسمه بين أوراق التاريخ الصفراء ، المهترئة

فأقترب من الخصى كركس و همس فى أذنهِ بصوتٍ كفحيح الثعابين :

- كيف لملكة مثل الملكة وشتى أن تتنازل و تحضر مجلس يضم هؤلاء السكارى ؟ .. و كيف لجمالها الفتان ، الذى يندر أن تنجب الأرض مثله ، أن ينكشف على هذه القذارة التى ُملئ بها القصر ؟ .. و رب إخشويرش - الملك العظيم - لو كان لىَّ من الأمر كثيرًا أو قليلاً ، لذهبت إليها أشير عليها بعدم المجئ ، و لكنىَّ كما ترى مُجرد حارس على بوابةِ القصر و لست مثلك خصىٌ من خصيان الملك .

و يبدو أن كلمات مردخاى فتت فى عضدِ الخصى كركس ، الذى عدا نحو مخدع النساء ليلحق بمن سبقوه من خصيان الملك ، على حين تقدم مردخاى من ميموكان و ألتقم أذنه ليقول له هامسًا :

- يُخيل لىَّ أن برتا و حربونا تأخرا فى استدعاء الملكة وشتى ؟ .. يُهيأ لىَّ إنها رفضت المجئ عاصية أوامر مولاىَّ و سيد الكون و شاهنشاه فارس إخشويرش .. يا أهورامزدا العظيم ! .. إنها لفتنة فى الأرض و السماء أن تعصى الملكة وشتى أوامر ملكها و صاحب الأمر و النهى فيها .

بدى على ميموكان إنه لم يستسغ كلمات مردخاى ، و هو يقول له مُنفضًا عن عاتقهِ سحر كلمات هذا الآخير :

-كيف للملكة وشتى أن تعصى أوامر زوجها و وليها ؟ .. لا تبالغ يا رجل و اذهب لمُتابعة عملك .

لمح مردخاى بطرفِ عينيهِ برتا و حربونا يُهرولان تجاه عرش الملك ، و من خلفهما كركس يعدو للحاق بهما ، فتعمد الفرار إلى موقعهِ بجانبِ بوابةِ القصر ، و هو يلمح برتا يلقم أذن إخشويرش ليهمس له ببعض الكلمات ، التى أذهبت بأثر الخمر من رأسهِ ، و قد انتفض جسده كمن لدغته حية مشيرًا للحكيم ميموكان ، الذى أسرع نحوه مُنحنيًا نصف انحناءة ، مُقدمًا له فروض الولاء و الطاعة :

-إن وشتى عصت أوامرنا نحن إخشويرش شاهنشاه فارس ، و تدعى إنها لا تتكشف على حُثالة من السكارى .

أمتقع وجه ميموكان ، و قد حاكى وجه الموتى بلونهِ الأزرق ، و هو يتذكر كلمات مردخاى له ، و قد قال فى نبراتٍ مُتأثرة :

- إن الملكة وشتى تسببت فى فتنةٍ فى الأرض و السماء ، كفيلة بأن تؤرق منام أهورامزدا فى السماواتِ العلا ، و ملوك النار فى الأرضين السبع ، لذلك وجب على مولاى القصاص منها ، و إخراج روحها من دنيا البشر ، و إرسالها لبارئها أهورامزدا ليقتص منها ، و لكنىّ أرى أن السنوات التى قضتها فى كنفِ مولاىّ تقضى له حاجته و تنصاع لرغباتهِ و أوامره لهى كفيلة بألا نقسو فى حكمنا

عليها ، لذلك نرى نحن الحكيم ميموكان حكيم مملكة فارس ، أن تجرد الملكة وشتى من لقبها ، و تُطرد من القصر لتصبح من عامةِ الشعب ، و يُكتب عليها ألا تتزوج بعد ذلك من رجال فارس ، و لا يشهد رحمها منى رجل جزاءًا وفاقا على غرورها و تصلفها و عدم انصياعها لرغباتِ ملك الملوك .

- فليُعلن فى أرجاء مملكتىَّ أن ملك الملوك و شاهنشاه فارس إخشويرش بن دارا قد طلق الملكة وشتى لعصيانها لأوامره .

وبهذا القرار تنتهى ثانى ليلة من ليالى الحفل المائة و الثمانين ليلة ، التى أعدها إخشويرش للإحتفاء بشعبهِ ، و باتت فارس كلها ليلة حزينة لن يرى صباحها شمس ، فيما عدا مردخاى ، الذى بدا كالطير ، الذى لم يستطع أن يطئ الأرض بقدميهِ من فرط سعادته ، لنجاح مُخططه .

دخل مردخاى على إستر ليجدها تبصر لصورتها فى المرآة ، و هو يُهلل قائلاً :

- لقد طلق الملك إخشويرش الملكة وشتى .

- ماذا ؟ .. طلق الملكة ! .. لماذا ؟

- لا يهم أن تعرفى الأن ماذا حدث لهما ، و لكن لكِ أن تعلمى أن جسدك له دورٌ هام فى المرحلةِ القادمة ، التى ستكونين فيها ملكة

على البلاد بدلاً من وشتى .

- ملكة على البلاد بدلاً من وشتى ! .. أنا لا أفهم ماذا تقول يا عماه ؟

- لا يهم .. كلّ بأوان .. طابت ليلتك .

و تظاهر بأنه يغفو ، و لكنه فى حقيقةِ الأمر كان يحلم و يرى فيما يرى النائم ما يُخطط له بعد طلاق الملكة وشتى من الملك .

مرت الأيامُ و الأسابيعُ ، و الملك يعزفُ عن حضور الحفل ، لتعزف أوتار الموسيقى ألحانًا شجية ، و تتمايل أجساد الجواري في حزن ، أفقد تشنجاتهن حيويتها ، فبات الحضور كأنهم يجلسون في مأتم ، و ليس حفل من حفلات القصور .

كانت فارس كلها حزينة لحزن ملكها إخشويرش ، الذي وهبهم النصر و العزة ، كأنها ترثي حاله و تشاركه أحزانه .

و عز على أفراد حاشية الملك أن يروه غارق من أخمص قدميه حتى بثور شعره في بحور من الخمر أبيًا كل ملذات الدنيا .

و ذات صباح جلس مردخاي مع هيجاي حارس مخدع نساء الملك ، و قد رسم الأسى و الحزن آياته على وجهيهما ، فبدت نظراتهما مُنكسرة و حزينة ، و رأسيهما مُتدلية في خنوع .

- ما أتعس هذه البلاد يا هيجاي بعدما حدث ؟

- إنها ألاعيب أهورامزدا بعباده ، لقد أراد أن يُعاقب ملك الملوك على تباهيهِ بين عامة الشعب بما منحه إياه من نعم و عطايا ، فنزع منه خليلته بعدما أوحى لها بعصيانهِ ، لتكون هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير .

- حقًا يا هيجاي ، أننا مصيرون خلف أهواء أهورامزدا و

و آلهة هذا الكون الفسيح ؟ .. و لكنى أتساءل ما السر الكامن فى النساء الذى يجعل الرجل منا لا يتحمل هجرهن و لا بُعادهن عن حياتهِ ، و يحزن لحزنهن و يحبر لحبورهن ، و ينتقم أشر انتقام ممن ينغص عليهن لحظات حياتهن البهية .

أبتسم هيجاى على الرغم منه ، و هو يُربت على صدرهِ فى رفق ، قائلاً :

ـ لقد ألقيت هذا السؤال على لسان خبير فى الرد عليه ، فكونى حارس نساء القصر أعلم عنهن كل شئ منذ بداية خلقهن و حتى لحظتنا هذه .

ـ هل ُخلقت المرأة منذ قديم العصور على هذا الجمال يا هيجاى ؟

ـ يُقال أن المرأة لم تخلق على أرضنا هذه ، بل أتت من مكان ما من وراء النجوم أبقة من شئ ما .. يقول البعض إنها فرت من بطش ملك ظالم ليس من البشر ، له طلعة القردة ، و فك تمساح ، يُطلق عليه أبوا ، و يقول البعض أن المرأة الأولى فرت هاربة إلى أرضنا هذه بعدما مات وليفها الذى يُشبه الخنازير .. و عندما حطت على أرضنا هذه ، وحيدة ، شريدة ، ألتقطها الإله أهورامزدا و أولدها تسعة رجال هم أول البشر على أرضنا هذه ، و كان يُقال

للمرأة الأولى التى هبطت على أرضنا من وراء النجوم الأم أورتانا .. أى المرأة الأولى .

- و هل كان لها جمال نساء اليوم ؟

- لا .. فقد كان لها أذنان طويلتان تشبهان أذنا الحمار ، و عينان كبيرتان تشبهان عينا الضفادع ، و قدمان تشبه قدما البط ، بذلك الغشاء الذى يلتحم بأصابع القدم ليجعلها كالمجداف ، و كانت كل قدم تضم أربعة أصابع فقط ، و كان لها قوام يُشبه النخل من حيث الطول و النحافة .

- إذاً من أين أتت نساء العالمين ، الشقراء منهن و السمراء ، النحيفة و الممتلئة ؟

- تمهل عليَّ يا رجل حتى أكمل عليك الرواية كاملة ، عندما وجد أهورامزدا أن المرأة الأولى أورتانا أنجبت تسعة من الذكور فقط ، فقد أمرهم أن يواطئوا أمهم و ينجبوا منها تسعة فتيات ، لا تتشابه أحداهن مع الأخرى فى أى صفةٍ من صفاتها ، فولدت الشقراء و السمراء .. الطويلة و القصيرة .. النحيفة و المُمتلئة .. التى تنطق العربية و الناطقة بالفارسيةِ .. إلى آخر ألوان النساء التى تملأ الأرض الأن .

- إذا فلكل امرأة سحر خاص و مذاق خاص يختلف عن سحر

و مذاق أى من بنات جنسها ؟

- بالطبع .. فكما قلت لك أن أهورامزدا قد أمر أبناؤه أن يُولدوا أمهم تسعة فتيات ، لا تتشابه أحداهن مع الأخرى فى أى صفة من صفاتها ، و من بعد ذلك أولد كل ولد من أولاد أهورامزدا الفتاة التى راقت له عشرات الإناث و الذكور ، و قد أوضع فى كل واحد على هذه الأرض سحرٌ خاص .. لماذا يسعى الرجل منا لإقتناء عشرات الجوارى من سبايا الحرب مُضحيًا بآلاف القطع الذهبية ؟ .. لأنه يبغى أن ينال واحدة بطعم الفراولة ، و آخرى بطعم البرتقال ، و ثالثة بطعم الكرز ، و رابعة تمنحه ما فى كل هؤلاء .

-صدقت يا هيجاى .. كم من نساء الملك تحت رايتك ؟

-أحذر يا مردخاى .. فهن نساء الملك لا يطأهن سواه ، و من يقترب من أحداهن يُكتب عليه الموت ، و لن أسمح لك أن ...

-اصمت أيها الثرثار .. ما أبغيه ليس لنفسىّ ، بل لصالح الملك و لصالح فارس كلها .

-ماذا تقصد بقولك هذا ؟

-أنت من سيمنح الملك السعادة ، و يسقيه إياها بدلاً من أقداح الخمر .

- أنا ؟

- نعم يا صديقىَّ .

- كيف ؟

- بما تحت رايتك من نساء ؟

- أنا لا أفهمك يا مردخاى .

- بما إنك تقول أن لكل امرأة سحرها الخاص ، و أن الواحدة منهن كفيلة بأن تمحو أحزان الرجل بطلعةٍ بهية من وجهها ، فما رأيك أن نرسل لملكنا الحبيب إخشويرش مع غروب كل شمس فتاة ، مليحة الوجه ، بهية الطلعة ، عذراء لم يمسسها رجل ، ليبحث الملك بين عذريتها عن ما لم يراه من سحر النساء فى زوجهِ الملكة المطرودة وشتى ، و بالطبع لن يُمانع أى أب فى فارس كلها و ما تحت لواءها أن يُقدم ابنته ليشتهى منها الملك ما يُريد ، فى سبيل إدخال السرور فى قلبهِ ، ليُعاود ليُباشر حكم إمبراطوريته و يحميها من أعدائها و المتربصين بها ، و أنا أعلم مدى براعتك فى تزيين النساء ، فقبيحة الوجه تبرز من بين أناملك كفينوس آلهة الجمال عند الأغريق .

- إنها فكرة رائعة .. و لكن ...

- و لكن ماذا يا هيجاى ؟ .. هل تبغى أن يظل الملك على حزنهِ و تعاستهِ ؟

-بالطبع لا .. أخفض صوتك يا رجل .. هل تريد أن يسمع حديثنا أحد خصيان الملك فتتسبب فى قطع رقابتىَّ .

-حسنًا .. اذهب و أشر على الحكيم ميموكان بما قلته لك ، لعلنا نسعى فى إسعاد الملك و تلك البلاد الحزينة ، التى لا تبصر غير سواد الليل .

و كما بث مردخاى سمومه فى أذن هيجاى ، سعى لتخدير سمع الحكيم ميموكان ، الذى زادت طاعته لمردخاى بعد حادثة الملكة وشتى - و قد تنبأ هذا الأخير بعصيانها - و كانت استمالة رأس الحكيم ميموكان بالأمر الهين على من يسعى لإنتشال نفسه من قاع التاريخ .. ذلك الدرك السفلى ، ليُصبح على قمتهِ .

و استطاع الحكيم ميموكان بحلو الحديث ، و عذب الكلام أن يقنع إخشويرش بما ابتغاه مردخاى ، الذى ذهب لإستر فى سعادة غامرة ، و هو يُبشرها باقتراب نهاية مرحلة الوحدة التى يحيا فيها الملك إخشويرش ، و قريبًا ستكون هى ملكة فارس ، لتصنع بذلك مجدًا لنفسها و لليهود فى بلاد فارس .. لعل اليهود ينفثوا عن ما لاقوه من بطش أباطرة الكون بهم على مر العصور ، و ما فعله نبوخذ نصر و أمثاله ، لعلهم ينجحون فى تمزيق تلك الشرنقة التى تحصرهم بين العبيد ، و تحجبهم ليكونوا هم أسياد الكون .

و كانت الليلة الأولى و الفتاة الأولى .. قطعة من السحر و الفتنةِ ، كانت تختبئُ بين نساء القصر ، و لقد أبدعت أصابع هيجاى فى أن تخرج الفتاة على أحسن ما تكون ، و قليلا من الرعونةِ و الدلال و بعض الكلمات المُزبدة بالخلاعةِ و الشهوةِ استطاعت أن تخرج الملك من أحزانهِ ، و تستقطبه تجاه رغباتها لينغمس فى جسدها البض ، و تختفى ممساته الرجولية داخل وعائها الأنثوى ، و تدمى أجزاء جسده المُترهل بأحمر الشفاة الذى مارس دوره فى إغراء الملك إخشويرش فى براعةٍ .

و مع شروق شمس اليوم الجديد خرجت الفتاة من مخدع الملك على صورة غير الصورة التى دخلت عليها ، فقد اقتحمت مخدع الملك وردة نضـرة ، عـذراء ، و مـع زوال سـواد الليل تدريجيًا كان الملك ينهل من عذريتها رويدًا رويدًا ، حتى خرجت فى الصباح مقطوفة الأزهار ، سيب .

و مع مرور الليلة الأولى شعر الملك بالحيويةِ ، كأنه عاد لصباه و شبابه و استعاد ما فاته من قوةٍ ، ليُغذى الفتاة التى كانت بين ذراعيه بمشاعر لم يعهد مثلها مع زوجه وشتى ، و خرج على هيجاى فى وجـهٍ بشوش بث الطمأنينة فى قلبهِ ، و قد نفخ أوداجه و هو يستشف حُسن صنيعه على وجهِ الملك ، الذى قال فى إطراءٍ :

-لقد كان اختيارك لحظيةِ الأمس صنيعٌ جيد ، و لقد أمرت بصرفِ مائة قطعة ذهبية لك ، على أن تحصل على مثلها مع كل حظية شابة ، جميلة ، عذراء ، لها من السحر و الدلال ما يفلحا فى إذابة أحزانىَّ ، و إن لعبت الصدفة و وقعت عيناىَّ على حظيةٍ قبيحةِ الوجه ، باردة المشاعر ، ستكون رقبتك هى ثمن كربىَّ .

أبتسم هيجاى فى خبثٍ و ثقةٍ مُستمدة من ثقتهِ فى مهارةِ أصابعه ، التى تصنع من الحجر الأصم أجسادًا مرمرية تُذهب بالعقول ، و تدمى الألباب ، و تشعل الشهوة ، و هو ينحنى فى خضوع و خنوع شاكرًا عطايا الملك له :

- بارك لنا أهورامزدا فيك يا مولاىَّ الملك و أسعد لياليك .

و أنصرف الملك إخشويرش ليترك هيجاى غارق فى لجةٍ من الحيرة ، أى حظية اليوم يختار .. السمراء أم البيضاء ؟ .. الشقراء أم الشهباء ؟ .. المُمتلئة أم النحيفة ؟

و لينهى حيرته دخل على النساء فى مخدعهن ، ليختار بأم عينيه وعاءًا جيدًا يحتوى شهوة الملك ، و قد وقع اختياره على عذراء ، بيضاء الوجه ، ذهبية الخصلات ، مُمتلئة بعض الشئ ، لعل جسد الملك يذوب بين ترهُلات جسدها الجائع ، و أخذ يُعريها من كل ما يستر جسدها ، فاحصًا إياها بعينٍ حيوانية ، طغت عليها شهوة

المال و رغبته فى الحصول على مائةِ قطعةِ ذهبيةِ ثانية و ثالثة ، ما دامت النساء تملأ هذه الأرض ، و مادامت جذوة الملك مازالت مُتقدة ، و أخذ يتحسس بأصابع خبيرة تعرف مقصدها كل قطعة فى جسدها ، لعله يُبصر فيها عيبًا يُداويه حتى لا تلحظه عينا الملك .

و كانتُ ليلة هذه الشقراء المُمتلئة التى تسببت فى حصول هيجاى على المائةِ قطعةِ الذهبيةِ الثانية ، و أقبلت الليلة التالية و قد أعد هيجاى للملك حظية قد سُبيت من أدغال أفريقيا ، فكان جمالها و فتنتها و سحر تقاطيعها مطموسة فى سوادِ جلدها الداكن ، و كان هذا التغير الذى طرأ على منى إخشويرش سبب فى رفعةِ منزلةِ هيجاى لديه ، و قد زاد عطيته على كل حظية ، لتبلغ خمسمائة قطعة ذهبية

و أخذت الليالى تتابع ، الليلة تلو الأخرى ، و الفتاة تلو الأخرى ، حتى نفذ مخزون الفاتنات من نساء القصر ، و البحث عن الفتيات البكر بين عامة الشعب سيبتلع من الوقتِ ما يجعل أحدى ليالى الملك خاوية بلا فتاة تداعب رجولته ، التى أدمنت ألتحام الأجساد ، و عشقت أمتزاج الأنفاس ، و كان مردخاى يرقب حال هيجاى ، و ما قد حل عليه من حيرةِ ، و ذعر ، ولّد فى نفسهِ الخوف على رأسهِ ، التى قد يفقدها هذه الليلة .

- ما بك يا هيجاى ؟ .. ما لىّ أراك مُضطرب ، مهموم ؟

-لقد نفذ الجمال من هذا القصر اللعين ؟

-ماذا تقصد يا هيجاى .. أنا لا أفهمك ؟

-اللعنة عليك يا مردخاى .. أغرب عن وجهىَّ هذه الساعة .

-هدأ من روعك ، و أخبرنىَّ سبب توترك لعل حل مُصيبتك يكون بناصيتىَّ .. هل عهدت بىَّ خزلك قبل ذلك ؟

صمت هيجاى قليلاً و هو يعقل كلمات مردخاى فى رأسهِ ، ثم قال فى هدوءٍ مُفتعل ، تولد من ثورةٍ عارمةٍ بداخلهِ لا تعرف السبيل للهدوء .

-لقد كنتُ أمنح الملك ليلة بعد ليلة حظية ، فاتنة من جوارى القصر من فى ولايتىَّ ، و اليوم لم يبق عذراءٌ واحدة بين جدران هذا القصر الفسيح ، كأن الجمال فر من نوافذ هذا القصر ، ليترك لنا القبيحات و أصحاب الوجوه الدميمة .

-أدخل على الملك فتاة ممن عاشرهن قبل ذلك ، و مال لهن ، و هام بجسدهن عشقًا .

- الملك يرفض أن يُقبل على امرأة عاشرها قبل ذلك ، لأنها تذكره بزوجهِ وشتى .

أفتعل مردخاى التعمق فى التفكير ، ثم قال :

- و ما عطاياك لمن ينتشلك من هذه الكربة ؟

- أمنحه نصف .. لا ثلث ما سيمنحنىّ إياه الملك مع شروق الشمس من قطعٍ ذهبية .

- سأهديك الليلة امرأة لم تشهد عيناك مثلها .. لها من الفتنةِ ما يُعادل سحر و جمال نساء الأرض أجمعين .. فنظرات عينيها كأنها سهومٌ مسمومة" تصيب قلوب الرجال بالدوار ، و تسقطهم فى حالةٍ يُرثى لها ، أما فمها فدقيق كالنبق ، دامى كأنه حبات الكرز ، و لها من تقاطيع الوجه المليح ما تقشعر له الأبدان ، و تتدلى له الأفواه ، مُشيدة بأن هذا الجمال لم يُخلق لبشر قط ، قد وطأت قدماه هذه الأرض التى نحيا عليها ، أما ...

- كفى .. كفى يا رجل ، كأنك تصف لىّ ملاك هبط من السماء

- بل هى أشد جمالاً من ملائكةِ السماء .

- سنرى عطيتك ، و لكن أعلم إنك لن تحصل إلا على ثلث ما سأناله من الملك بعدما تقضى فاتنتك ليلتها معه .

- بل كل ما ستحصل عليه .

- ماذا ؟ .. أيها اليهودىّ الجشع ، إنك ...

- بل كل ما ستحصل عليه هو ملكٌ لك وحدك .

- و أنت .. ماذا تبغى من عطيتك هذه ؟

- رضاك عنىّ يا صديقىّ ، و ذكرىّ عند الملك بخير الكلمات

-فقط .

-فقط .

-و ماذا تنتظر .. اذهب و أحضر هذه الفاتنة ، و أنا أعدك أن أصنع منها كوكبًا دريًا ينتشل الملك من حياتهِ كلها ، و يجعله لا يُبصر سوى جسدها ، لتعف نفسَهُ عن نساء الأرض جميعًا .

و عدا مردخاى نحو حجرته حيث مرقد إستر ، و هو يُمنىَّ نفسه على براعتهِ فى التخطيط و تحيُن الفرص ، و كانت قدماه لا تطئان الأرض من شدةِ السعادةِ ، كأنها تود أن تطير و لا تلمس الأرض ، ليصل صاحبها إلى بغيتهِ ، و يحمل إستر إلى هيجاى ، ليعدها و يُزينها لا لتكون حظية لليلةٍ واحدةٍ ، بل ليزفها إلى عرش فارس ، لتصبح هى الملكة على هذه البلاد طولها و عرضها..

- هيا يا إستر .. ارتدى أبهى و أغلى ما عندك من الثياب و الحُلى .

-لماذا يا عماه ؟ .. هل قررت أن تأخذنىَّ معك لحفل الليلة ؟

- بل سأجعلك حظية الملك هذه الليلة .

- هل .. هل ستقدمنىَّ حظية للملك يا عماه ؟

- لا تأخذى الأمور بصورتها الظاهرة ، أنا لن أرسلك لإخشويرش لينال منك ما يشتهى لولاء منا ، فلك أن تعلمى إنك

لمردخاى وحده ، و لن أسمح لمخلوق من كان أن يُشاركنىّ فيك حتى و لو كان ملك فارس نفسه ، و لكن ما سُتقدم عليه الليلة و ما فعلتيه قبل ذلك من تقديم جسدك التوراتىّ الطاهر لرئيس الجيش و رئيس حرس القصر ما هو إلا تضحية فى سبيل رفعة اليهود ، ليكون لهم شأنٌ عظيم فى هذه البلاد .

أخذت إستر تدملج فى أوابد الكلام الذى سمعته من عمها و تعقله فى رأسها ، قبل أن تومأ برأسها ، و هى تقول :

- حسنـًا يا عمىّ .. مادام ما سأقدم عليه هذه الليلة فيه مصلحة عامة ، و رفعة لبنى جنسىّ فأنا ملك يمينك .

- و أعلمىّ أن التوراة لن تنس صنيعك هذا .

- من فضلك يا عمىّ .. إلىّ بالإتب الوردى من حانوتِ ملابسىّ ، و أتنىّ بما تراه مُناسب لهذه الليلة من الحُلى .

و أسرع مردخاى ليُحضر لها ذلك الإتب الوردى - الثوب القصير - من حانوتها ، و أخذ يبحث بأنامله بين قطع الحُلى المختزنة فى حانوتها مُستشيرًا عيناه المُدمقسة ، و مع كل دقيقة تمر عليهما يستحثها أن تُنجز عملها ، و لا تُرهق نفسها فى أرج زينتها ، لأن هيجاى سيتولى هذه المُهمة و مع انتهائها من إرتداء ثوبها الوردى القصير ، و عصم حُليها بين رقبتها ، ليتدلى على نهديها فى إبابـةٍ ،

لاستنشاق ذلك الأريج الذى يفوح منهما ، و ما يُلثم معصمها فى شوق جارف ، كأنه أحاح وجد الماء بين أصابعها ، أسرع بها نحو مخدع هيجاى ، الذى أنهمك فى إعداد أدواته ، و ...

- يا آلهة السماء ! .. ما هذا الجمال و الإبداع الذى أراه ؟ .. من أين حصلت على هذه التحفة النادرة ؟ .. هل صعدت إلى السماء و سلبتها من أهورا مزدا ؟

-بل هى ابنة شقيقىَّ و تدعى إستر .

- لابد إنه كان أغنى أهل الأرض بما يملكه من هذا الجمال .

-بل كان يعيش فى كنفِ فقر مُدقع ، و بئس شديد .

-لقد آن لهذا الجمال أن يحيا بين جدران القصور ، و يرى من الدنيا مباهجُها .

ثم أخذ يُمشط جسد الفتاة بنظراتهِ الحادة ، ثم استطرد قائلاً ، و قد كان اللعاب يسيل من فمهِ و هو يقول آمرًا :

- اخلعى ثوبك يا فاتنتىَّ ، و اتبعينىَّ إلى مخدعىَّ .

- ماذ ؟

-ماذا تقول أيها المُخرف ؟ .. تخلع ثوبها و تتبعك إلى مخدعك .. هل جُننت يا رجل ؟ .. هل أحضرتها لتكون حظية لك ، أم ...

قاطعه هيجاى ، و قد امتقع وجهه من شدة هجوم مردخاى عليه ،

بثقل الكلام ، و قد قال مُعللاً عبارته :

- أنا لم أقصد ما رميت إليه يا مردخاى ، بل أعنىّ من كلماتىّ أن تخلع ثوبها و تتعرى منه حتى أكشف عن عيوب جسدها و أداويها و أُجملها لتصبح فى عينى الملك باهرة الحسن .. أنسيت أن هذه هى صنعتىّ ؟

قالت إستر و قد أحست ببعض الإهانة المُوجهة لجسدها ، مُزدحمة بين كلمات هذا الهيجاى :

- إليك عنىّ .. إن جسدىّ مُعافى من أى عيبٍ أو كلفٍ .

- الأمر لا يخلو من بعض الأمور الطفيفة ، التى لا تلحظها العين العادية و لكنها تحتاج لعين مُتفحصة ، مُدققة مثل عينىّ .. هيا يا صغيرتىّ ، لا تضيعى مزيدًا من الوقت .

نظرت إستر إلى مردخاى نظرة سريعة ، كأنها تُعاتبه على أن جعلها تسقط بين يدى هذا الرجل ، الدميم ، حاد النظرات ، و قد كانت تشعر بوخز يُصيب خلاياها مع كل نظرة جائعة منه ، قبل أن تتبعه إلى مخدعهِ بخطى ثقيلة ، على حين كان هيجاى يتسمر عند باب مخدعه ، و عيناه لم تفارق جسد إستر ، و قد سال الزبد من شدقيهِ .

- تفضلى يا سيدة الملاح ، إن مخدعىّ المُتواضع زاد ضياءًا و بهاءًا بحلولك عليه .

دخلتُ إستر إلى مخدع هيجاى مُتطلعة لمُحتوياتهِ البسيطةِ من مضجع وثير بعض الشئ ، و حانوت مُتوسط يُجاوره يبدو إنه خزانة ملابسه ، على حين سلب لبها تلك المرآة الضخمة ، التى تتوارى فى أحد أركان المخدع ، و قد جاورها العشرات من أدواتِ الزينة ، التى يبدو منها إنها سر نجاح هيجاى و براعته فى تزيين النساء .

على حين هم مردخاى أن يقتحم مخدع هيجاى تابعًا خطوات إستر ، كأنه حارسها الخاص ، و كلبها الوفى ، لولا أن منعه هذا الآخير مُتسائلاً :

- إلى أين يا مردخاى ؟

حدق مردخاى له بنظراتٍ حادة فهم هيجاى معناها جيدًا ، و هو يصغى لعبارةِ مرخاى المُتلاعبة ، الماكرة :

- الأمر لا يخلو من مردخاى يا صديقىَّ .

- حسنًا .

و استكان مردخاى بجانب إستر ، التى همت بخلع ثوبها الوردى القصير فى بطئ و هدوء ، كأنها تقدم على كشفِ اللثام عن سر خطير من أسرار الكون ، أو كنز ما سيُذهب الأبصار .

- ما هذا الذى أراه ؟ .. يبدو أننى أحلم .

- ما رأيك فى عطيتىَّ لك يا صديقىَّ ؟

- إنها ساحرة ، طاغية .. يا ليتنىَّ كنتُ إخشويرش .

قالت إستر فى خبثٍ و مكرٍ و هى تُوجه كلماتها لهيجاى ، الذى تدلى فكه فى بلاهةٍ ، و هو يتطلع لجسدها العارى ، البض ، الكاشف لأسرار الأنثى .

- ماذا كنتُ فاعلٌ يا سيد هيجاى لو كنت إخشويرش ، و حكمت هذه البلاد ؟

- لا تهمنىَّ هذه البلاد .. بل ما يهمنىَّ هو أنت ، يا ليتك كنتِ حظيتىَّ و لو لليلةٍ واحدة .

- ماذا أنت فاعل فى مثل هذه الليلة التى تتمناها يا سيد هيجاى

- كنت سأفتك ...

قاطع مردخاى أحلام هذا الآخير ، و قد شعر بشئ ما يقبض على صدره و يكتم أنفاسه ، و هو يقول آمرًا :

- عجل فى عملك يا هيجاى .. لقد أزفت الساعة .

فاق هيجاى من أحلامهِ و عاد لشط الحقيقة ، بعدما كاد أن يغرق فى بحرٍ من الهواجس ، الذى صنعها ذلك الجسد الصارخ بالفتنةِ ، و هو يبتلع لعابه فى صعوبةٍ ، كأنه يُحاول أن يلقى بحجر داخل جوفه ، و هو يقول مُصدقًا على عبارة مردخاى :

- لديك حق يا عزيزىَّ مردخاى .. لقد أزفت الساعة ، و

-بالتأكيد سيثور الملك و يتذمر لتأخر حظية الليلة عن موعدها و هم ليُباشر عمله فى همةٍ و نشاطٍ ، فأخذت أصابعه تغوص فى جسدها فى مهارةٍ ، على الرغم من الأضطراب الذى حل عليها ، و تلك الرجفة التى أصابتها ، كأنها أصابع رجل لم يواطئ امرأة من قبل ، أو لم يلمس جسد امرأة قبل هذه اللحظة ، على حين تاهت نظراته بين جسدها دون مقصد ، تارة صاعدة لترتوى من جمال صدرها المُكتنز ، وتارة هابطة لتأخذ نفحة من نفحاتِ ساقيها الباهرتين ، و غاص عقله فى قاع من الحيرة .. هل يمنحها جمالاً صناعيًا نابع من بين أصابعه ، مُستمدًا نضارته من تلك الأدوات التى يستخدمها فى تزين القبيحات من النساء ؟ .. أنه يخشى أن يُلوث ذلك الصفاء الذى يُتوج هذا الجسد الذى تناسقت أعضاءه فى براعةٍ يندر تواجدها فى امرأةٍ آخرى ، و ...

-ما هذا يا مردخاى ؟

قال هيجاى هذه العبارة بصوتٍ مفزوع ، مصدوم ، و قد تسمرت أصابعه على جسدِ إستر و قد جحظت عيناه ، و ثارت حواجبه ، و أنعقدت فى شدةٍ حتى ألتصقت ببعضها البعض لتبدو كالشريطة ، التى تعلو وجهه .

- ماذا هناك يا رجل ؟

- إنها سيب و ليست ببكر .

- نعم .. نعم .. إنها .. إنها ...

لم يجد مردخاي من الكلماتِ ما يكفي لفك عقدة لسانه ، الذي لاذ بالصمتِ ، على حين صاحت إستر :

- و ماذا في ذلك أيها المعتوه ؟

- و ماذا في ذلك ؟ .. إن ملكنا يشتهي من النساء العذارى و لسن السيب .. فهو لا يُفضل أن ينال امرأة قد دخل عليها رجلٌ قبله .. لقد خدعتنيَّ يا مردخاي .. لقد خدعتنيَّ بسحرها و فتنتها .

- اصنع أي شئ يُعيد لها بكارتها يا رجل .

- و ماذا أنا صانعٌ حيال هذه النكبة ؟

- إن إستر هي المرأة الوحيدة التي بين يديك الأن .. إن لم تدخلها على الملك في غضون دقائق سيخرج الملك إليك ليُطيح برأسك دون رحمة .

- وا مصيبتاه .. لقد أضعتنيَّ أيها اليهوديَّ الماكر .

حاول مردخاي خمد ذلك الغضب الذي تولد في نفسهِ أثر كلمات هيجاي ، و قد أحس عارًا شديدًا في كونهِ يهودي المنشأ ، و لكنه كظم غضبه رويدًا رويدًا و هو يجز على أسنانهِ في قوةٍ ، لعلها تمتص ما يجيش في صدرهِ .

-لن أعاتبك على كلماتك هذه يا هيجاى .. فأنا أعلم قدر ما أنت فيه من بلاء .

-ولكنك كنت تعلم أن ابنة أخيك سيب .. أليس كذلك ؟

-نعم .

-و لماذا أتيت بها أيها اللعين ؟

-نسيت إنها سيبٌ يا صديقىَّ ، فأنا رغبتُ فى إنتشالك من حيرتك .. هل هذا جزاء المعروف الذى أقدمت عليه ؟

أحس هيجاى بأنه كان قاسى الكلمات و إنه ظلم مردخاى ، فقال له بصوتٍ واهن ، مُتساءل :

- لا .. و لكن ماذا أنا فاعلٌ فى مُصيبتىَّ هذه ؟

أخذ مردخاى يدور حول هيجاى و هو يتحدث ، كأنه حية رقطاء تدور حول فريستها فى مُحاولة منها لإرهابهِ ، و بث سمومها :

- أنت ساحرُ النساء يا صديقىَّ ، فأجسادهن هى لعبتك التى تهواها ، و عيوب أجسادهن ألهام عبقريتك و مهارتك .. لم تُخلق بعد المرأة التى تستعصى على هذه الأصابع الذهبية ، التى طالما بحثت فى خبايا الأجساد البضة لتضرم فيها نيران الفتنة و الجمال ، فلا تجعل ما نحن بصددهِ شوكة تذل ناصيتك ، و تكون سبب فى قطع رقبتك ، و انتهاء سيرتك ، لتكون من الغابرين ، أجعل من جسد

إستر التحدى الأعظم لمهاراتك ، فنجاحك فى مُداواتهِ فيه عتق رقبتك من نيران إخشويرش ، و فشلك فيه هلاكك .. هيا يا صديقىَّ أبرز ما لديك من مهارةٍ و براعةٍ و سحر طالما تحدث عنه العالمين .

- صدقت يا صديقىَّ .. فأنا هيجاى ، ساحر النساء ، و عاشق الأجساد اللوزية ، و لم يُخلق بعد ذلك الجسد الذى يستعصى على أصابعىَّ .. أنا هيجاى .

ثم وجه كلماته المُفعمة بالحماسةِ لإستر ، قائلاً :

- هيا يا حلوتىَّ .. انفضى عنك الهم و الغم ، فقسمًا بشرفِ هيجاى لأجعل منك بكر تذهب العقول .

و أخذت الدقائق تمضى فى بطئ كأنها سنوات تقتطع من الزمن ، و قد كان هيجاى غارق فى جسدِ إستر من أخمص قدميه ، و حتى بثور شعره ، التى شابت من هول خوفهِ على رأسهِ ، و كانت يده لا تكف عن العمل ، كأنها تنحت فى الصخر ، بينما كان العرق يتفصد من كل خلية بجسدهِ ، كأنها أنهار تنبع من جبينهِ لتصب على جسدها ، الذى أصبح ورشة يعمل فيها مردخاى بدأب و أجتهاد ، يبتكر بين أركانها ، على حين كان مردخاى شارد الذهن ، يلتهم أظفار أصابعه توترًا .

- لقد نفذ الأمر .

ترك مردخاى أظافر يده و هو ينتفض صائحًا :

-ماذا فعلت ؟ .. هل نجح ما أقدمت عليه يا هيجاى ؟

قبض هيجاى على قطعةٍ من الكتان كانت مُلقاة فى إهمال ، و هو يُجفف بعض قطرات الدماء التى تلوث يده ، و هو يقول فى نبراتٍ قويةٍ ، و قد أبتهجت أساريره :

-ماذا تقول يا رجل ، و فيما ُتجادل ؟ .. لقد أودعت هذه الفاتنة بين يدىّ هيجاى .. ساحر النساء .. الأن أصبحت ابنة أخيك فتاة بكر ، لم يقطف ثمارها رجل من قبل ، و لكن ...

-و لكن ماذا يا هيجاى ؟

-لن تبق على بكارتها سوى لليلة واحدة .

ابتهج مردخاى لما سمعه ، و هو يقول فى حبور غامر :

- و هذا ما نبتغيه يا رجل .. هيا .. أسرع بها إلى ملك الملوك إخشويرش بن دارا ، حاكم فارس .

و سقط مردخاى على أقربِ مقعد صادفه ، يكاد يغشى عليه من فرطِ السعادة ، و هو يُمنىّ نفسه إنه فى القريب العاجل سيكون شخصية هامة ترتع بين جدران هذه البلد الفارهة ...

بل فى التاريخ كله ...

أمتلأ مخدع هيجاى بأنفاسهِ الحارة المُضطربة مخلوطة بأنفاس مردخاى ، الذى أفترش مضجع الأول ، و قد بدا عليه إنه شارد الذهن ، مُخدر السمع ، فقد بدا جامد كأنـه تمثال من البرونز ، لا حياة فيه ، غير مُجيب على نداء هيجاى المُلح و قد آثر الصمت و السكوت على تجاهل مردخاى له ، و قد سبح عقله فيما وراء الواقع ، حيث شطحات العقل الباطل ، حيث مركز الأحلام و الطموح .

ما مصيره بعدما تخرج تلك الفاتنة التى جلبها مردخاى له منذ سويعات قليلة ؟ .. هل سيكتشف الملك لعبته و حيلته فى مُداواة عيب إستر فيكون جزاءه أن تقطع رقبته و يُحرم من متاع الدنيا ، و ما تطويه بين جناحيها من ثروات و شهوات ؟ .. أم تنطلى عليه خدعته الماكرة و يحصل على عطيةِ الملك من القطع الذهبية ليكتنزها مع سائر ما حصل عليه ؟ .. و قد رَسمت له المطامع صورة ، طالما حلم بها ، و قد زُينت برتوش بهية ، و قد خُيل له إنه استوطن قصرًا منيفا يتوسط ضيعة خاصة به ، و من حوله الحسان من الجوارى و ما ملكت يمينه ، ليكون هو مفترسهن و ليس صائدهن ، ليكون هو المُتمتع بحسنهن وحده ، و ليس من يصنع الحسن بيديهِ ليُدنيه غيره كما هو الأن .

و توغلت المطامع به فى بحر عميق من الأحلام ، حيث قذفته إلى قاعها بلا عودة ، حيث صُور له إنه أصبح سيد البلاد و حاكم لهذا الكون الفسيح ، بيمينهِ يملك حياة البشر و مماتهم ، و بيساره يطوى كنوز الأرض ما بطن منها و ما ظهر ، و بجوارهِ تجلس إستر تلك الفاتنة التى أحيت بداخلهِ المشاعر الجميلة ، و قد منحه جسدها إحساس بأنه رجلٌ يحتاج لامرأةٍ كجمرةِ النار تُلهب مشاعره فى وقت أحس فيه إنه مُجرد آلة تصنع الجمال ليُبهر العيون التى تنهل منه دون أن يكون له الحق فى أن يقطف من ثمار ما صنع .

أراد أن يكون إخشويرش آخر ، بل رجلاً أشدُ فتكًا منه ، ربما كان إخشويرش رجلا مُحنكا ، بارعًا فى الكر و الفر ، فارسًا لا يُشق له غبار صنع من انتصاراتهِ مملكة فسيحة ، تُرهق أشعة الشمس فى سبيل الوصول لنهايةِ أطرافها .. و لكنه فى قاعهِ قبيح الروح ، لا يعرف الجمال و لا يتذوق سحر ما حوله من ملذاتِ الدنيا ، بيديهِ المال ، و لكنه فقير الحيل ، لا يعرف كيف ينفقه و يُسخره لمتعه ؟ .. بيمينهِ العشرات من الفاتناتِ و فضّل أن يبتعد عنهن ليحصر رجولته فى امرأةٍ واحدة يتزوجها ، أما هو .. فهو ساحر النساء ، فنان مرهف الحس ، قد خلق من الجمال ليكون للجمال رسول ، له من الأصابع ما يكفى لتحويل الصخور الصماء إلى أجسادٍ مرمريةٍ

تصرخ بالفتنةِ .. له من الأصابع ما يكفى لتحويل خيوط الصوف المُجعدةِ إلى جدائل من الإبرسيم الطبيعى ، و لقد حجت هذه الأصابع إلى أجسادٍ لا حصر لها من تلك الأجساد الجيلاتينية ، ليغوص فى أعماق حواء ، فمع كل جسد تطأه أصابعه يُزيل اللثام عن سر من أسرار الأنوثة ، حتى أصبح الأن هيجاى .. ساحر النساء و صانع الجمال ، و قد ذاع صيته فى جميع أرجاء البلاد ليفوق ما ناله إخشويرش من سيطٍ و شهرة ...

لقد كانت أصابعه التى تعمل بهوينى على أجساد النساء كفيلة بفتح الأمصار و قلب الدنيا رأسًا على عقب ، فما من جسد امرأة فى فارس و ما فى خارج زمامها لم ينكشف على أصابعه ، سواء كانت صاحبة الجسد امرأة أمير ، أو من عامةِ الشعب .

- آهًا لو تفلح عطيتك يا مردخاى فيما وُكل لها .. مردخاى .. مردخاى .

لم يستجب مردخاى لنداء هيجاى المبعوث من قلب أحلامه ، لأنه كان غارقًا هو الآخر فى أحلامهِ ، فقد كان يتعمد أن يخلط بين أوراق ذاكرته ، مُستعيدًا ذكريات فتوته ، حيث كان فارسًا قويًا ، يمرح بين بنى إسرائيل كيفما شاء ، و كيف كان له من السيط ما كان كفيلا لإرهابِ أعداءه فيتحاشوا لقياه فى القتال ، و حاله الأن .. و

كيف أنحدرت به الأمور ليكون حارسًا على بوابةِ قصر ملك فارسى ؟ .. كيف لعب الزمن بناصيته و غرس هامته فى الوحل ؟ .. كيف سلبت منه أيام الرق شبابه و قوته ، و مع مرور هذه الأيام المشئومة كان مجده يُطمس رويدًا رويدًا ، كنجم قرر أن يخلى الساحة لغيرهِ ...

لابد أن القدر وضع إستر فى طريقهِ لسببٍ ما ، لعل القدر يُريد أن يُعوضه عما لاقاه قديمًا على يدِ ملوك بابل ، لابد أن إستر هى المُفتاح الذى سيعبر به من هامش الحياة ليكون هو عصبها ، و دخولها الليلة على إخشويرش و إنجذابه لها هو المفتاح الذى سيقذفه من حارس للقصر الملكى إلى حاشيةِ الملك الخاصة .

-آهًا لو تفلح عطيتك يا مردخاى فيما وُكل لها سأحصل على المئات من القطع الذهبية .

-و أنا سأصبح نديمًا خاصًا للملكِ إخشويرش ، مُودعًا تلك البوابة اللعينة .

- إن لها رنين ساحر يفوق سحر تلك الأجساد البضة ، التى تقع بين أصابعىّ .

- أعلم أن إستر لها من الجمال و السحر ما يكفى ليتعلق بها إخشويرش دون تنازل .

- ربما يُزيد الملك عدد القطع الذهبية خمسون قطعة أو مائة قطعة دفعة واحدة لو لم يكتشف حيلتيَّ و أن ابنة أخيك ليست ببكر .

- ربما تحلو فى نظرهِ ، و تسرى فى أوردتهِ مسرى الدم ، فيتزوجها و يجعلها ملكة على البلاد بدلاً من وشتى .

- لعل فتاتك تدفع بيَّ لأمتلاك ضيعة من ضياع فارس .

- لعلها تدفع بيَّ إلى قلبِ المجد .

- مجد ! .. أىُ مجدًا يا مردخاى تحلم به ؟

عاد مردخاى لواقعهِ ليفوق من شرودهِ على آثر عبارة هيجاى الدهشة ، التى يفوح منها عطر التساؤل :

- مجدٌ ؟! .. هل تفوهت بهذه الكلمة ؟

- نعم .. لقد قلت لعلها تدفعُ بيَّ إلى قلبِ المجدِ .. من تقصد يا مردخاى ؟ .. أهى إستر ؟

- لا .. لا .. نعم هى .

- و أىُ مجدًا هذا الذى ستلقيك فى قلبهِ ؟

- ذلك المجد الذى تحلم به يا هيجاى .. تلك القطع الذهبية التى تحلم بها ، و تسمع رنينها .. تلك القطع الذهبية التى ستجعلك تقتنى الضياع و الجوارى ، و تجعل منك سيدًا بعدما كنت عبدًا أبقا ، و ...

- كفى .. كفى يا رجل ، ما داعى هذه الكلمات الباردة التى

تتهال بها على أم رأسىَّ ، لقد كان سؤالىَّ بريئا لا يحمل من مَكركم أيها اليهود مثقال ذرة .

ولى حلم مردخاى ليحل محله غضبٌ و هو يعتدل فى جلستهِ ، هامًا بالقبض على تلابيب هيجاى ، و هو يصيح فيه :

- ألم أحذرك من التفوهِ بهذا النعت قبل ذلك أيها الفارسىَّ البغيض ؟

أرتجفت أوصال هيجاى بعض الشئ و هو يلمح عينا مردخاى و قد أصبحتا كجمرتين مُتقدتين ، و قد تضخم صوته و تعمق ، كأنه يُعانى للفكاك من بين أحبالهِ الصوتية فخرج جافًا ، عميقًا ، وقد حاول أن يحتوى غضب مُردخاى ، فقال و هو يُحدق فى شرفةِ مخدعهِ فى مُحاولةٍ منه لصرف نظره عنه لعله ينسى غضبه :

- انظر .. لقد أنبلج النهار و لجلج الليل .

نهض مردخاى مُتجهًا نحو الشرفة كالمسحور و هو يتطلع لأشعةِ الشمس البكر التى تنشر ضيائها على العالمين فى كسل و آنفة ، و هو يقول فى صوتٍ حالم ، هادئ :

-لقد أنبلج النهار .. لقد زهق الليل .. إستر .. أين إستر ؟ .. أين هى يا هيجاى ؟

- لا تقلق .. ستأتى فى التو و اللحظة .

أكتفى مردخاى بعبارتهِ و هو يُحملق فى أشعةِ الشمس الذهبية ، التى تنهض من خلفِ الجبال فى كسل و خمول ، و هى تفرد أذرعتها الذهبية على كل ما يُقابلها لتبثه الدفء و الحيوية ، فتسعى الأيائل فى السهول ، و الأغنام فى المراعى ، و الطيور تحلق مرحة فى السماء ، ساعية فى البحثِ عن الطعام لصغارها ، و الأزهار آخذة فى التفتح و الإزدهار ، كأنها تلثم الصباح بأريجها الفواح .

- لقد تأخرت يا هيجاى .. لقد بدأ الشك يتسلل إلى نفسىَّ .

- الشك !! .. من ماذا ؟

- من أن يكون إخشويرش قد أكتشف لعبتك الحقيرة و سعى للأنتقام من الفتاة بقتلها قبل أن يسعى لقتلك و قتلىَّ .

أرتعشت شفتا هيجاى ، و هو يقول غير مُصدق ما قاله مردخاى :

- لا .. لا تقل هذا يا رجل ، إن .. إن الملك لو أكتشف خدعتنا لأقتص منا فى حينها ، و لم .. و لم ينتظر حتى بلوج الشمس .

أقنعت كلمات هيجاى ثائرة مردخاى بعض الشئ ، و لكن مازال القلق يرفض أن يُبرح نفسه :

- و لكن ما سبب عدم حضورها حتى هذه اللحظة ؟

أبتسم هيجاى فى خبثٍ و هو يتصنع الحياء ، و هو يقول :

- ربما اشتهاها الملك حتى الثمالة و رفض أن تبارح فراشه

قبل أن يرتوى منها و يمتص رحيقها عن بكرة أبيها .

- إلى الآن يا هيجاى ؟

- لا تقلق يا ...

قطع هيجاى عبارته و هو يتطلع إلى الباب و قد تسمرت إستر بجوارهِ ، و قد كانت فى حالةٍ يُرثى لها ، فقد كان ثوبها مُمزق بعض الشئ ، و كان شعرها المُسترسل شاحب اللون ، مُتناثر الخصلات ، بينما كانت بشرتها شديدة الشحوب ، و قد غلب عليها اللون الأصفر ، على حين سعى مردخاى نحوها عندما أبصرها ، و قد أصابه الذهول و هو يُشاهد إستر العائدة من مخدع إخشويرش ، الذى بدا إنه أمتص كل جزء من جسدها ، الذى كان يئن ، و يكاد يتداعى مغشيًا عليه من شدةِ الإعياء .

- ما هذا ؟ .. ماذا حدث لك يا إستر ؟

قالت إستر بصوتٍ هادئ أصابه الإعياء :

- إنه إخشويرش .

- هل ُأكتشفت خدعة الحقير هيجاى و عمل على تعذيبك هذا الإخشويرش ؟

لم تقو إستر على التفوهِ بأدنى كلمة ، و هى تشعر بجفونها تتدلى فى ثقل ، كأنها نُحرت و تلفظ أنفاسها الآخيرة ، و أكتفت بأن لوحت

برأسها آن لا ، على حين صاح هيجاى مُتفهمًا لما تعانيه إستر مُوجهًا عبارته لمردخاى ، الذى بدا عليه إنه لم يفهم شئ على الأطلاق :

- دعها الأن تذهب لمخدعها فهى مُرهقة يا مردخاى .

-ليس قبل أن أفهم ما حدث لها ، و سبب ما حل بها من هذا الإخشويرش .

- لا تقلق .. لن يُصيبها مكروه .

-لن يُصيبها .. إذاً ما هذا الإصفرار الذى حل على بشرتها و جسدها الذى دب به الوهن و الجفاف ، و هذا الثوب الذى تمزقت خيوطه ، فأصبح لا يستر جسدها ، و هذه الأقدام العارية ، التى تتوارى خلف بعضها البعض من قسوةِ الأرض .. ماذا تقول يا رجل .. أتسخر منىّ و توصمنىَّ بالعمى أيها الجرذ الحقير ؟

- هدء من روعك يا مردخاى .. ما أصابها يُصيب كل امرأة ترتمى فى حضن رجل ليلة كاملة ، و لكن يبدو أن ملكنا أشتهى فتنتها فأصر على أن يجنيها عن بكرة أبيها .. و الأن دعها تذهب لتنال قسط من الراحةِ لتعوض به ضعفها .

أشار مردخاى لإستر بكفهِ أن تذهب لتنال قسط من الراحةِ ، و سُرعان ما لبت إستر الدعوة ، فبمُجرد أن لوح مردخاى بيدهِ حتى

أختفت من أمام ناظريه ، أخذت دربها إلى مخدعها ، على حين ربت هيجاى على عاتق مردخاى برفق ، و هو يقول :

- حاول أن تخفى غيرتك عليها ، فلا تكن كشباب المُراهقين ، لقد ولى هذا الزمن يا صديقىّ .

- على من تقصد ؟

- أقصد من هفوت عليها عندما رأيت جسدها قد أصابه الإعياء ، مُتناسيًا إنها كانت بين أحضان رجل آخر .

نفض مردخاى يد الأول عنه و هو ينفر مُبتعدًا عنه ، و هو يقول فى حدةٍ ، مُحاولاً درء تلك التهمة التى قذفها إليه هيجاى :

-ماذا تقول أيها التعس .. إنها ابنة أخىّ ؟

-و لكن توراتكم لم تنهاكم عن نيل بناتكم و أمهاتكم و بنات أشقائكم .. أليس كذلك ؟ .. أم أنكم فضلتم إتباع شهواتكم على إتباع تعاليم الدين ؟

قبض مردخاى على ذراع هيجاى ، و قد قصعها خلف ظهره ، فأصدر هذا الآخير آهة ألم ، و قد جحظت عيناه ، و هو يستشعر ذلك العمود الذى أخذ يسرى فى ذراعهِ ، و هو يقول مُتوسلاً :

-ماذا هناك ؟ .. ماذا هناك يا مردخاى ؟ .. أنا لم أقصد إهانتك .. أنا كنت أبغى مُداعبتك و اللهو معك .. صدقنىّ يا مردخاى ..

صدقنىَّ .

أنحدرت دمعة ساخنة على وجهِ هيجاى ، استطاعت أن تنفث عن الآلآم التى يُعانى منها صاحبها ، على حين شدد مردخاى على ذراع الأول ، و هو يجرعه مزيدًا من الألم ، قائلاً :

ـ لقد أنذرتك قبل ذلك ، و نصحتك بألا تتطاول معىَّ فى الحديث .. أليس كذلك ؟

ـ نعم .. نعم .

ـ إذاً لماذا تلحف على فرض سخافاتك علىَّ ؟

ـ لن أفعل هذا بعد ذلك ، فقط أعتق ذراعىَّ .. إن ذراعىَّ سيتحطم .. أرحمنىَّ يا مردخاى .. أعترف أننىَّ أخطأت فى حقك .. أعترف يا مردخاى .

ـ حسنًا يا هيجاى .. سأعفو عنك هذه المرة لأنك أسديت لىَّ معروفًا لن أنساه .

ثم أعقب عبارته بأن شدد على ذراع هيجاى فى قوةٍ حتى صدر منها صوت يُشبه تهشم الزجاج ، و قد دفع هيجاى بقوةٍ ليسقط على الأرض جثة هامدة ، غارق فى تأوهاتهِ و آلام ذراعه التى كسرت ، على حين غادر مردخاى مخدع هذا الآخير فى هدوءٍ تام كأن شيئا لَم يحدث ، ليتجه نحو مخدعه بخطى سريعة ليلقى بصره على إستر

، التى جف أريجها و كان يعرف ما أصابها .. و من أصابها ؟ .. و لكنه يُحاول أن يتناسى حتى يصل لبغيتهِ .

وانصرمت الأيام ، و الملك لا يطلب إلا استر حظية له كل ليلة ، مما جعل هيجاى يتنفس الصعداء ، و مع كل إشراقة شمس ، كان يخرج الملك إخشويرش من مخدعه و هو يترنح ، حتى يمتثل أمام هيجاى و يمنحه عطية ذهبية مكافأة له لأنه أهداه بأستر ، التى سلبت عقله بقوامها الساحر ، و دلالها النادر ، و ضحكتها التى تمخر فى أذنهِ كسهمٌ مسمومٌ بسم العشق فيُصاب بالخدر ، و يسقط أسفل قدميها كالعبدِ الذليل ، مُتناسيًا عرشه و مُلكه .

و فى ذاتِ ليلةٍ دخلت عليه أستر و هى ترتدى ثوبًا أحمر اللون كدماء الجنود الذين قضوا نحبهم على يد إخشويرش و قد أبرز مفاتنها ، و قد تطيبت بأفخر العطور التى منحها هيجاى إياها ، لتجد إخشويرش يجلس بجوار مضجعه و بجواره قنينة الخمر ، التى أوشكت على النهايةِ .

و سرعان ما أنقض عليها كوحش جائع وجد غزال شارد ، وحيد فى الفيافى المُقفرة ، مُجردًا إياها من ثوبها ، و ...

بدأت مراسم الصدام البشرى ، و ألتحام الأجساد الطرية ، و ...

انتهى كل شئ ...

- أنتِ الليلة أفضل حال من ذى قبل .. أكثر فتنة و دلال .

- استر دائمًا فى خدمةِ مولاها و حاكم البلاد إخشويرش ، و من أجلهِ أفعل كل شئ و أى شئ .. المهم هو رضاؤك علىَّ يا مولاىَّ .

- أريد أن استفسر عن شئ منك يا أجمل نساء الأرض و أبهرهن و أطعمهن .

- سل ما بدا لك يا مولاىَّ فأنا أمتك المطيعة .

- ما سر جمالك الذى يزداد يومًا بعد يوم ، و لا يضرم فيه الإعياء ، و لا تعرف السنون طريقا لكى تصيبه بالهرم ؟

ضحكت استر ضحكة مُجلجلة غلفت الحجرة ، و قد زلزلت كيان إخشويرش ، و هو يُشنف أذنه لسماع تلك الضحكة التى سلبته منذ أول ليلة ، و قيدت قلبه بسلاسل من ذهب ، على حين قالت إستر و هى تفرغ ما تبقى من القنينة من خمر أوشك على الانتهاء ، مُقدمة إياه لإخشويرش الملك .

- هذه هى إستر .. دعنا نشرب إحتفاءًا بجمال إستر .

ضمها الملك إلى صدرهِ بعنفٍ ليلثمها بقوةٍ و هو يُردد :

- بل دعينا نشرب الخمر حتى الثمالة إحتفاءًا بتعلق ملك الملوك إخشويرش ، و شاهنشاه الهند و كوش و ما بينهما من البلاد بأمتهِ الرائعة ، باهرة الحسن إستر ابنة أبيحائل .

و تعالت أصوات قرع الكؤوس ، و تجشؤ الملك ، و هذيان لسانه ، الذى أصابه الإعياء من كثرةِ تناوله الخمر ، التى اذهبت برشدهِ ، و ...

- تمنى علىَّ يا إستر .

- أمنيتىَّ الوحيدة أن أظل بجوار مولاىَّ ، حتى أمحو عنه آلام فراقه للملكةِ وشتى .

أنقلبت سحنة إخشويرش و هو يضرب بكأسهِ عرض الحائط ، لينسكب ما فيه من خمر على أرضيةِ الغرفةِ المصقولةِ بالذهبِ الخالص ، و هو يصيح :

- ما لنا و هذه اللعينة ابنة السفهاء ؟

- لا شئ يا مولاىَّ ، و لكنى كنت أحسبُها سر حزن مولاىَّ ، فأنعزاله عن شعبهِ ، و تغيبه عن الحفل العظيم المُقام على شرفِ انتصاراته .

- حُزنىَّ و تعاستىَّ كانت بسبب فراغ حياتىَّ من العاطفةِ الصادقة .

قالت استر فى دلال :

- و ماذا الأن ؟

- الأن أنا أحيا فى خضم السعادة و الحب .

ثم ضم استر بقوةٍ ، و هو يقول لها :

-تمنى علىَّ يا استر .

-يكفينى رضاؤك يا مولاىَّ و حاكم قلبىَّ و من آسر مشاعرىَّ منذ الطلعة الأولى ، يا أول و آخر رجل عرفته استر ابنة أبيحائل .

نهض إخشويرش و هو يتوسط الحجرة ، و قد صلب عوده ، و هو يصرخ قائلاً :

- و لهذا قد أعلنت استر ابنة أبيحائل ملكة على البلاد ، و لتضرب الدفوف و تعلق الزينة و تقام الأفراح سبع ليال ملاح ابتهاجًا لزواج الملك إخشويرش من الملكةِ استر .

و لاحت إبتسامة جزلة على وجهِ استر ، التى تصنعت المفاجأة و هى تردد قائلة :

- أتتزوجنى أنا أمتك استر ابنة أبيحائل يا مولاىَّ ؟

- و من سواك تصلح أن تكون ملكة على البلاد و تجلس بجوارىَّ على كرسى العرش ، أنت من أخرجتنى من شجونىَّ ، و سلبتنى من بئر أحزانىَّ ، و جعلتنىَّ أسبح كل ليلة فى جناتِ الرب عبر جسدك الزبرجدى .. أنت يا استر ربة قلبىَّ و ملكة هذه البلاد و استطرد حديثه بأن طواها بين ضلوعه أخذا من جسدها العارى غطاءًا ، و من فاهها وعاءًا يلتقم لهاثه ، و من وجنتيها فاكهة تسد

جوعه لتمضى هذه الليلة كسابقتها ، و يُعلن فى الصباح نبأ زواج الملك إخشويرش من الملكةِ إستر ، تلك الأسيرة الوافدة مجهولة النسب ، و عندما نبأ إلى عِلم مردخاى هذا الخبر سعد أجم غبطة ، و أخذ يُردد فى همسٍ :

- ما أبرعك يا إستر ، لقد بدأتِ فى حفر عهدًا جديدًا لليهود فى صلبِ الزمن ، و ليكن مردخاى و استر ملوك هذه المملكة التى لن يستطع أحد من كان كيانه هزيمتها .. ما أبرعك و أبرع سحرك يا صغيرتىّ !

و هكذا تربعت إستر على عرش كورش و الهند لتصبح هى الآمرة الناهية ، المُتصرفة فى شئون المملكة ، أما إخشويرش فكفاه سحر الليالى التى تصبغها إستر بسحرها ، تاركا شئون المملكة لها و لوزيره هامان ، أما عن مردخاى فقد نحل الشوق قلبه ، فمنذ أصبحت إستر ملكة على البلاد حُرم من لقياها ، و إن رآها فليكن خلسة حتى لا يعلم أحد من أي نسب انحدروا .

و فى ذاتِ مساء أخذ مردخاى يَهيم بين سكنات خصيان الملك ، و هو يبحث بين تلافيف مُخه عما يجب الأتيان به فى المرحلةِ القادمة ، فتراءى إلى سمعهِ صوت خفيض آثار حفيظته ، فدنى أكثر من أحد السكنات و اصغى لما يدور من حديث .

- يجب أن نعجّل بهذا الأمر قبل أن ينكشف سترنا ، و يجب علينا أن نستغل حبور الملك بزواجهِ من تلك الساقطة المدعوة بإستر التى يعتقد إنها بكرٌ ، و لا يعلمُ إن كل رجلاً فى القصر تنعّم بجسدها يوم .

- أتعلم يا بغثان إن لهذه الساقطة عمّ هنا بالقصر ، و لقد علمت إنهما ينحدران من أصولٍ يهودية ؟

- إذا يجب أن نتخلص من هذه الحظية أولاً ، ثم بعد ذلك نتخلص من الملكِ إخشويرش حتى لا يؤول حكم المملكة لها و لبنى جنسها .

لطم مردخاى على صدغيهِ و هو يُردد فى همس و بحروف مُرتعشة :

- يا ويلىّ .. إنهما ترش و بغثان خصيى الملك و قد كشفا سرنا .. ماذا أفعل ؟ .. يجب أن أتخلص منهما .. يجب أن ...

أبتلع مردخاى حروفه الجزعة ، و قد برقت عيناه ، فأخذ يعدو نحو مخدعه ، و قلبه يكاد يتوقف من هول ما سمع من مُؤامرة خصيان الملك عليه و على إستر ، التى كانت كفيلة بهدم آمالهِ فى بناء وطن يضمه هو و ابناء شعبه كما كانت تضمهم يهوذا و إسرائيل ، بل و القضاء عليهم و صلبهم على بابِ المدينة ، و حينها لن ينجح جسد

استر فى استمالةِ أفراد الشعب الثائر .

أخذ مردخاى يبحثُ بين حاجياته المُبعثرة على شئ ما ، حتى قبضت أصابعه على ورقةٍ و قلم و دوايةِ حبر ، و نشرهم على منضدةٍ صغيرةٍ ، و أخذ يُداعب الورقة العذراء بنصل القلم الحاد ، الذى أخذ يسطرُ خلاصة فكرًا شيطانيًا أخذ يَعبر عبر تلافيف مُخه ، ليسطر مكيدة جديدة يُحافظ بها على قسمهِ الذى أقسمه يومًا بأن يُخلد اسمه فى صفحاتِ التاريخ .

و انتهى مردخاى من سرد ما سمعه على لسان بغثان و ترشى خصيا الملك و ما يُدبرانه لأغتيال الملك و من ورائهِ إستر ، شارحًا حقيقة كشفهما لكونهما - إستر و مردخاى - ينحدرا من أصول عبرية يهودية ، و كونه - مردخاى - عمها ، فأشار عليها فى نهايةِ خطابهِ بوجوبِ التخلص من بغثان و ترشى بسرعةٍ ، على أن يكون قصاص إخشويرش منهما بشع ، حتى يكونا عبرة و موعظة لكل من يُهدد كيان اليهود النازح لمملكةِ فارس .

و عندما انتهى مردخاى من خط خطابه انطلق نحو مخدع إستر ، مُتحركا على أطراف أصابعهِ حتى لا يُبصره أحدٌ ، و أذناه مُتشنفتان على أهبِ استعداد لألتقاط أدنى الأصوات ، و عيناه تجول يمينا و يسارًا لكشفِ حُجب الطريق ، خشية أن يُبصره أحدٌ

و قد تعالى صوت دقات قلبه ، و كادت أصابع يده تتيبس و هو ينقر بوهن على بابِ مخدع إستر ، و قد ترانى له صوت هذه الآخيرة و هى تتساءل عن الطارق ، فأجاب فى همس ٍ يكادُ لا يتخط حنجرته :

-إنه أنا .. مردخاى .

فتحت إستر باب مخدعها تدريجيًا و فى حذر ٍ ، و قد بدا على قسماتِ وجهها القلق و الجزع ، و عيناها تتساءلُ قبل لسانها عن سر زيارة عمها المُفاجئة ، و همت أن تعبرَ عن خواطرها بسؤالهِ لولا أن قاطعها هو قائلاً بصوتهِ الهامس ، الذى يُشبه فحيح الثعبان ، مُقدمًا لها خطابه بيدٍ مُتجمدة :

-خذى هذا الخطاب ، و أعى ما فيه جيدًا ، و لكن توخى الحذر و السرعة .

رحل مردخاى عن ناظريها كما جاء خلسة و بخفةٍ ، و قد كادت دقات قلبه أن تفضحه من هول ما أصابها من ذعر ، و ذاكرته تنضح بكل ما تدخره من أحداثٍ مرت بحياتهِ .. منذ سبى نبوخذ نصر لشعبهِ و بيعه لتاجر فقير قتل كل كبرياء و عظمة فيه ، و زرع الوضاعة و الخسة فى نفسهِ ، و مرورًا بقدومهِ لفارس ليكون من حاشيةِ إخشويرش ، الذى منحه بصيصًا من الأمل فى استرجاع شئ من وضعهِ الزائل فى يهوذا عندما كان فارسها ، و بدأت خلاياه

فى رسم دولة جديدة تشق فارس لينزح إليها اليهود ، و فاق من ذكرياتهِ على وضعهِ الأليم ، الذى يُهدد أحلامه بالسبى .

فرغت إستر من قراءة خطاب مردخاى ، و قد أمتقع وجهها و شحب كشحوب الموتى ، و هى تُردد :

- يا ويلتىّ .

ثم تحول إمتقاع وجهها لبريق فى عينيها و هى تضرم النيران فى الخطاب ، و تتجه نحو خزانة ملابسها لتُخرج منها لباسًا شفافا شديد القصر لترتديهِ ، و قد تطيبت بأشد العطور تطيرًا ، ثم أعقبت لمساتها الأنثوية بأن خرجت من مضجعها مُتجهة نحو حجرة إخشويرش ، و ...

فى الصباح الباكر .. تربع إخشويرش على عرشهِ و قد بدا على ملامحه آيات الضجر ، و قد تسمرت إستر بجوارهِ ، و قد شدت هامتها فى إعتلاءٍ ، كأنها تعلن ظفرها بالمعركةِ التى وضعها فيها مردخاى ، و قد لاحت على شفتيها إبتسامة سارعت بوأدها خشية أن يلمحها أحد .

دعى إخشويرش وزيره هامان الذى هاله منظر الأول ، الذى أمره بالقبض على خصياهِ بغثان و ترشى .

انصرف هامان و الشك بدأ ينبت بصدرهِ بأن إستر - تلك العاهرة ،

الوافدة على قاعةِ العرش لتحل محل مليكته المنبوذة وشتى - يد فيما سيحدث .

سرعان ما عاد هامان ليمتثل أمام إخشويرش و قد بدا من خلفهِ بغثان و ترشى مُكبلين بالأصفاد ، و قد ركعت نظراتهما لتعانق الأرض فى ذلةٍ و مهانةٍ ، بينما أمر إخشويرش باستدعاء حكيم القصر ميموكان ، الذى جاء مُهرولاً بهامتهِ القصيرة ، و قد انحنى أمام عرش إخشويرش و هو يُردد :

-ميموكان حكيم القصر فى خدمةِ مولاىَّ .

قال إخشويرش مُوجهًا كلماته لميموكان ، قائلاً :

-عندما يتطاول أحدُ الرعاع على ملكِ البلاد و حاكمها .. ما جزاؤه ؟

-يُقبر حيًا يا مولاىَّ .

-و عندما يتطاول هذا الزنديق ، الأبق و يُحاول الإعتداء على أحدى ممتلكات الملك .. ما جزاؤه ؟

-يُعدم يا مولاىَّ .

نهض إخشويرش من مرقدهِ ، و أخذ يخطو بخطواتٍ ثقيلةٍ نحو خصياه المُكبلين بالأصفاد ، و قد كان لوقع خطواته فى قلبيهما موقع الفزع و الرعب ، كأن شبح الموت يدنو منهما لينزع روحهما .

قبض إخشويرش على خصلاتِ شعر بغثان المُسترسلة ، و هو يُردد :

- لقد تآمر علىَّ هؤلاء الرعاع ، و كانا يُدبران لقتلىَّ و قتل ملكة البلاد إستر .. فما جزاءهما أيها الحكيم ميموكان ؟

هم ميموكان أن يتفوه لولا أن قاطعه صوتُ بغثان المُتهدج ، المُحتج رغم ذعره ، و هو يصيح :

- أن إستر يا مولاىَّ ...

بلع بغثان عبارته على آثر صياح إستر العالى و هى تصرخ بكل ما أوتيت من قوةٍ ، قائلة :

- يُعدما فى ميدانٍ عام ليكونا عبرة و موعظة لكل من يجرؤ على التطاول على ملك البلاد و حاكمها إخشويرش .

تعافت أصابع إخشويرش على خصلاتِ بغثان المخنوقة ، و قد دفع هذا الأول رأس الأخير لتصطدم بالأرض ، ليتخلف عنها جُرح مُدمى ، و هو يصيح :

- فليعدما فى ميدان عام .. خذوهما .

تقدم الحُراس ليحملا بغثان و ترشى حيثُ مصيرهما المُنتظر ، على حين أمر إخشويرش باستدعاء كاهن القصر و صاحب سفر أخبار أيام الملوك - من يخطه بيدهِ - و بعد بضع دقائق دخل مخدع

العرش رجلٌ هَرم ، قد ضرم الشيب فى خصلاتِ شعرهِ و لحيتهِ الطويلةِ التى كادت ُتعانق الأرض ، و قد دفن بين أبطهِ الأيمن كتابًا عملاقا ، و هو يُردد :

- كاهن القصر و صاحب سفر أخبار أيام الملوك فى خدمةِ مولاىَّ .

عاد إخشويرش إلى مجلسهِ ، و هو يُردد :

- ها أنت أيها الكاهن العظيم .. يا من شاهدت و دونت فى كتابك انتصارات و أمجاد أجدادىَّ العظماء تشهد اليوم حدثـًا عظيمًا فى حياةِ ملكِ الملوكِ و شاهنشاه بلاد فارس إخشويرش بن دارا .. أفتح صفحة جديدة فى كتابكِ المجيدِ لتخط ما حدث اليوم .

قالت إستر فى دلالٍ قيّده وجودها فى بطانةِ العرش و كلاً من حكيم القصر و الكاهن و الوزير يرمقها :

- لا تنس مردخاى يا مولاىَّ .

- من هذا المردخاى يا مليكتىَّ ؟

- هو واحدٌ من رعايا مولاىَّ و فردٌ من أفراد بطانتهِ الملكيةِ ، و قد حظى بشرفِ إنقاذ حياة مولاىَّ بأن أفشى خطة المُعتدين .

- إخشويرش بن دارا لا ينس رعاياه المُخلصين و أتباعه الأمناء ، و على رأسهم وزيرىَّ الهُمام هامان و ذلك المردخاى ،

فليكن هامان بن همداثا الأجاحى كبير مجلس العشرة و كبير وزرائىَّ و الرجل الثانى فى الإمبراطوريةِ ، ليعلو كرسيه فوق جميع الرؤساء ، و ليسجد له كل عبيدُ الأرض ، و لتدعوا له كل الرعايا و الشعب كما يدعون لىَّ و لأهورامزدا فى كل صلاة .
قالت إستر :

- و ماذا عن مردخاى ، من أنقذ حياة مولاىَّ ؟

- ليكن هذا الرجلُ كبير حُراس القصر الملكى ، و ليأخذ من خزانة القصر ما يُعادل وزنه ذهبًا .

ثم أعقب إخشويرش كلماته بألتفاتة حادة نحو الكاهن صائحًا فيه :

- ماذا تنتظر أيها الكاهن ؟ .. خط بأقلامك و دواية حبرك ما حدث فى أخبار أيام الملوك ، ليشهد التاريخ على عظمةِ إخشويرش بن دارا .

و فى مكان آخر من المدينةِ ، كان حراس الملك يبنون موقدًا عظيمًا من الخشبِ ، ليبدو للناظر من بعيد كأنه تلٌ صغيرٌ ، و على مقربةٍ منه كانت الخيلُ تعدو بسرعةٍ آتية من قصر الملك و مُتجهة نحو تل الحطب ، الذى دُق فى وسطهِ عمودان ، و قد رُبط فى مؤخرتها بغثان و ترشى لتعانق رأسيهما صفحة الأرض ، و ليسف لسانهما من ترابها ، و تُسقى نتوءاتها من دمائهما ،

حتى وصلت الخيولُ إلى تل الحطب و سكنت ، فحمل الجنود جثتى بغثان و ترشى المُتهالكتين و قد عجزت أقدامهما على حملهما ، فخرا على الأرض سريعًا ، فعاود الحراس لحملهما مرة آخرى حتى وصلا لقمةِ التل و صلبوهما فى العمودان ، و أثناء ذلك أخذ ترشى يهذى قائلاً بصوتٍ يكادُ يُسمع من شدةِ صخبِ الحضور من عامةِ الشعبِ ، الذين يُنادون بالقصاص من أعداء الإمبراطورية الفارسية :

- إستر ابنة اليهود و عمها مردخاى .

هبط الحراس من أعلى التل ، و أضرمت النيران ، و ...

انتهى كل شئ ...

و

داخلُ قاعة رئيس الوزراء هامان ، جلس هذا الآخير على مقعدهِ الذهبى مُنتشيًا ، كأنه يُحاول أن يفترش المقعد بأكملهِ ، بينما أخذت أصابعه تتحس كل حفر فى المقعدِ الذهبى بتوترٍ و أنفعال ، على حين بدت نظراتُ هامان جامدة ، زجاجية ، كمن يتعجبُ لكونهِ جالس على مثل هذا المقعدُ ، أو إنه تقلد مثل هذا المنصبُ .

- بعد خمسة عشر عام من خدمةِ إخشويرش و من قبلهِ أبيهِ دارا أصبْحتُ رئيسُ الوزراء و الرجل الثانى فى الإمبراطوريةِ الفارسيةِ ، أصبح الأمرُ و النهىُ لك يا هامان بعدما تباعد إخشويرش عن مقاليد الحكم و غرق فى لجةِ النساء ، و آثر أجسادهن على مُتابعةِ فتوحاتهِ ، لقد حالفك الحظ لتكون أنت إخشويرش الفعلى ، تسجد لك الناس و تدعوا لك كسجودهم و دعائهم لملوك فارس الحاضرين منهم و الغابرين .. هاهو التاريخ يُدون أخبارك ضمن صفحاته العتيقة ، و ...

بلع هامان عبارته ، و وأد جماح تطلعاته على آثر أقتحام أحد الحراس خلوته ، مُرددًا و هو مُحنى الهامة :

- مولاىَّ .

- ماذا هناك ؟ .. ألم أمركم بعدم أقتحام خلوتىَّ .

- و لكن الأمر جل خطير يا مولاىَّ .

استرعت عبارة الحارس انتباه هامان ، فلان صوته مُتخليًا عن ثورته و حدة نبراته ، و قد حل محلهما القلق و التوتر و هو يتساءلُ قائلاً :

- ماذا هناك ؟ .. أفصح عن ما لديك أيها الحارس .

أخذ الحارس يَجول برأسهِ يمينًا و يسارًا كأنه يخشى أن يسمعه أو يراه أحد ، و هو يقترب من مجلس هامان رويدًا رويدًا مُرددًا بصوتٍ رتيبٍ خافتٍ :

- لقد شوهد واحدٌ من حراس القصر فى ذلك الحى الذى يقطن فيه اليهود .

- و ماذا فى ذلك أيها الحارس ؟

- لقد أشارت عيوننا هناك أن هذا الحارس كان يُحرض اليهود على سرقةِ التجار و الغش فى المعاملاتِ و الأحتيال على فقراء الشعب لسلب نقودهم ، و أخطر من ذلك يا مولاىَّ إنه يُحرضهم على سرقةِ ملكية الأراضى ، و من يستعصى عليه سرقة أرضه يسعى لشرائها بالنقود التى سلبها من فقراء الشعب .

صمت الحارس ليرى رد فعل كلماته على وجهِ هامان الذى بدا عليه شدة التعمق فى التفكير بحاجبيهِ المُقتضبين ، و شفاهه المزمومة .

- و ماذا إيضًا ؟

- لقد .. لقد ...

لم يستطع الحارس استكمال عبارته فلاذ بالصمتِ و وضع عيناه في الأرض ، على حين قال هامان مُستحثًا إياه على الكلام :

- ماذا هناك أيها الحارس ؟ .. هات ما لديك .

- لقد أعلن هذا الحارس عصيانه لك يا سيديّ .

انتفض جسد هامان من على مقعدهِ و هو يُحدق في الحارس حتى أبتلعته نظراته ، و هو يُردد في استهجان :

- عصيانه عليّ أنا ؟

- نعم يا مولايّ .. لقد شوهد قبل اليوم و هو يُعلن عن رفضه للإنحناء لك ، و اليوم في أحدى معابد أهورا مزدا أعلن رفضه الدعاء لك ، و عندما سُئل عن سبب رفضه و تعاليه أجاب أن مثله لا يسجد لبشري قط ، عاد هامان ليرقد في حضن مقعده مرة آخرى ، كأن عبارات حارسه فتت في قواه ، أو كان فحواها بالقوةِ التي سلبت عزيمته ، على حين استطرد الحارس عبارته قائلاً :

- و هناك أمر آخر يا مولايّ .

- هات ما لديك أيها الحارس .

- استميحك عذرًا أن تسمع الرواية من راويها ، و هو واحدٌ

من الحراس الذين أشرفوا على إعدام خصيا الملك بغثان و ترشى .

- دعه يأتى .

غاب الحارس نحو دقيقة و نصف الدقيقة ، ثم عاد لوضعهِ الأول أمام هامان ، و قد كان يتسمرُ بجوارهِ حارسٌ آخرٌ شديدُ النحول ، فقال الحارس الأول :

- قص على مولانا ما سمعته من ترشى قبل أن يُحرق .

أومأ هامان برأسهِ أن نعم ، فتلمظ الحارس و هو يُردد بحروفٍ مُرتجفة :

- عندما صلبنا بغثان و ترشى أعلى تل الحطب تلمظ ترشى بعبارةٍ ...

- بعبارةٍ ماذا أيها الحارس ؟

- أن .. أن إستر ابنة اليهود و عمها مردخاى .

- مردخاى من ؟

- ذلك الحارس الذى كشف اللثام عن مُؤامرة بغثان و ترشى ، و قد جزاه ملك الملوك و شاهنشاه فارس بأن جعله رئيس الحرس و منحه ما يُعادل وزنه ذهبًا .

زاغت عينا هامان و هو يُحاول استيعاب كل ما سمعه من حارسيهِ ، و قال مُهددًا :

- لو علم أحد بما قلتماه لىَّ ستكون رقابكما هى الثمن ، ألزما الصمت ، و الأن اذهبا لموقعكما .

انحنى الحارسان و قد تخضب وجهيهما بالتوتر و القلق و أولى ظهورهما لهامان مُتجهين نحو باب القاعة ، لولا أن صاح هامان مُستوقفا إياهما :

- أنت .. لا .. بل أنت .

توقف الحارس الأول على حين مضى الآخر فى دربهِ خارج القاعة ، على حين قال هامان للحارس :

- هل ما قاله ذلك الحارس صدق أيها الجندى ؟

- إن ما قاله الحارس لهو الحق يا مولاىَّ ، فقد ذاع بين حراس الجيش منذ أمد أن مردخاى هذا يهودى الأصل ، جاء من السبى باحثا عن كيان له و لذويه من اليهود المنبوذين على يد نبوخذ نصر ، و ما يؤكد ذلك يا سيدىَّ بعض النزاع و الشجار الذى دار بينه و بين بعض أفراد الحرس ، و أثناء الشجار كان يفصح عن هويته و نسبه مُتعاليًا و مُتفاخرًا .

- حسنًا .. و الأن اذهب لموقعك .

أعتقد الحارس أن هامان أنهى عبارته ، فأنحنى و هو يهم أنْ ينصرف لولا عبارة هامان التى جعلته يتسمر فى مكانهِ :

- و لا تنس أن تتخلص من هذا الحارس لأنه عرف الكثير .

رنت عبارة هامان فى أذن الحارس كأنها إيذانًا بإعدامهِ هو لا الحارس الآخر ، لأنه بدورهِ يعلم الكثير و الكثير ، و ربما أكثر مما يعلمه هامان نفسه ، فبدت الكلمات صعبة المنال و هى تجاهد للخروج من فاههِ ، و هو يقول :

- أمر .. أمر مولاىَّ .

و أخذ يَجُر قدماه ليترك القاعة خالية على عروشها ، و هامان يُحاول أن يُفسر معنى ما يُحاول مردخاى فعله .

- لقد أتى هذا المدعو مردخاى إلى بلاد فارس كواحد من اليهود المُتضررين على يد نبوخذ نصر ، و بأمر من الأمور نجح فى دفع قريبته المدعوة إستر فى طريق الملك لتصبح فى يوم من الأيام ملكة على البلاد ، و هاهى الأن ترفل فى نعيم المُلك ، بعدما تسببت بوضع أو بآخر فى طرد الملكة وشتى .

صمت هامان و قد زادت حداقتاه إتساعًا ، و هو يُحاول أن يبحث فى غيبِ الأمور ، ثم قال فى تحدٍ :

- لن تصبح بلاد فارس أورشليم آخرى ، و لن تصبح يا مردخاى نبوخذ نصر آخر .. لن أسمح لك .

نهض هامان من مرقدهِ ململمًا حرملته السوداء ، و قد أخذ دربه نحو

قاعة العرش ليمتثل أمام إخشويرش ، ماثلاً بين يديهِ مُقدمًا فروض اللواء و الطاعة ، قائلاً :

- عمت صباحًا يا مولايَّ .

- عمت صباحًا يا هامان ، جئت فى ميقاتك أيها الوزير الهمام

- خيرًا يا مولايَّ .

- كنت سأشرع فى استدعائك لأطمئن على أحوال الإمبراطورية و أرجائها .

صنع هامان القلق ، و قد رسم آيات التوتر و التأثر على قسماتِ وجهه و هو يقول :

- البلاد فى خير حال يا مولايَّ الإمبراطور بقيادتكِ ، و لكن ...

نجح هامان فى نقل قلقه إلى إخشويرش الذى بدا عليه التوتر بدورهِ من حرفِ الاستدراكِ الذى منع هامان من الإفصاح عما يجول فى نفسهِ ، فقال مُستحثًا إياه على الحديث :

- و لكن ماذا يا هامان ؟ .. ماذا يحدثُ فى مملكتىَّ ؟ .. أفصح

زاد هامان فى تصنعهِ ، و هو يقول بصوتٍ مُضطرب :

- إن فارس فى خطر يا مولايَّ ، و ستنهار إن لم يُدافع عنها قائدها و حامى ديارها إخشويرش بن دارا سليل العظماء من

الحكام و المُحاربين .

زاد توتر إخشويرش ، و أخذ يعتدل فى جلستهِ مُحاولاً ألا ينفضح توتره ، و هو يتساءل بصوتٍ مُتهدج أضعفه القلق :

-ما هو الخطر الذى يُهدد أمن فارس أيها الوزير ؟

-إنه خطر اليهود يا مولاىَّ ، الذين وفدوا إلى بلادنا سبيًا من أورشليم ، بعدما شردهم نبوخذ نصر و قطع أرحامهم و شتت نسلهم ، و الأن قد تعاظم نفوذهم و أثروا و اغتنوا و أصبحوا أسيادَ المال المتحكمين فى الأسواق و الأقواتِ و الأرزاق ، إنهم يتلاعبون بالأسعار و يمتصون دم شعبك يا مولاىَّ فى مُحاولةٍ منهم لبناء دولةٍ لهم على أنقاض فارس بعد خرابها على أيديهم .

- ماذا نفعل معهم فى رأيك يا هامان بعدما أصبحوا واقعًا على أرض فارس ؟

- نستأصلهم .

- نستأصلهم ؟!

-نعم يا مولاىَّ .. نقتل أطفالهم فنحرمهم مَولد قائدًا يَجمع شملهم و يُوحد كلمتهم ، و نعقر بطون نسائهم حتى لا يحملن من أدران أزواجهن نطفة طفل فنهددهم بالأنقراض ، و نقطع رقاب رجالهم حتى لا يتصد لنا أحدٌ يُناضل ضدنا ، و نعفر شيب شيوخهم

حتى تُهان كرامتهم ، بهذا لن يبق لليهودِ آثرٌ فى فارس ، التى ستتحول لمقبرةٍ تطوى بين ضلوعها عفنهم .

- و نعم الرأى يا هامان .. خذ خاتمىَّ و أصدر مرسومًا إلى الولاة فى شتى أنحاء فارس بقتل كل نفس يهودية ، حتى نستأصل كل خطر يُهددنا من نسلهم .

طوى هامان أصابع يده على خاتم الملك الذى منحه إياه ، و قد لاحت إبتسامة نصر على شفتيهِ ، و هو يقول :

- هكذا تبقى فارس زهرة حضارات الأرض يا مولاىَّ .

و بدأ هامان ينسحب من قاعةِ العرش رويدًا رويدًا و هو يُردد بصوتٍ لم يتعد حنجرته ، و لم يسمعه سواه :

- هذا هو الدرس الأول أيتها الملكة المُزيفة و ذلك الأرهابى المُتعفن فى مدرسةِ هامان .

* * *

خرج مردخاى خلسة قاصدًا ذلك الحى الذى يسكن فيه اليهود النازحين ، و قد لاحظ أن الطريق إلى قلبِ الحى فارغ على غير عادة من الباعةِ المُتجولين ، و السماء تخلو من صياحهم الذى تصدع له آلهة السماء ، فعزى الأمر لوجود احتفالية ما ألتف حولها الجميع ، و لكن خلايا مخه رفضت استيعاب هذا المُبرر

الواهى ، حتى لمح على أول الشارع شبح شخص ما يعدو تجاهه ، فسرعان ما تأهب للدفاع عن نفسه ، و الشبح يقترب منه رويدًا .. رويدًا ، و ...

- من أنت و ابن من ؟

وجد مردخاى أن الشبح الذى يقترب منه ما هو إلا طفل لا يتعد عمره العاشرة ، فاستوقفه و ألقى على مسامعهِ سؤالهِ ، فقال الطفل بنفس متقطع و عين زائغة تلتفت خلفها بحدةٍ ، و جسد ثائر يُحاول الفكاك من قبضتى مردخاى اللتين تقبضان على كتفيهِ فى قوةٍ :

- لا شأن لك بىَّ .. دعنى أرحل .

لاحظ مردخاى أن الطفل خائف من شئ ما ، فقال له مُتسائلاً :

- من رَوعك هكذا ؟

- أنهم خلفى يُريدون قطع رقبتىَّ .

- من هؤلاء ؟ .. و أين ذويك ؟

- رجال الملك قتلوا كل أهالى الحى ، و يُريدون اللحاق بىَّ ، و ...

أبتلع الطفل كلماته الموتورة ، و قد ترانى إلى سمعهِ صوت أقدام ثقيلة تهز الأرض أسفلها ، فحاول التملص من مردخاى صائحًا :

- فر بنفسك قبل أن تلقى حتفك .

تسمر مردخاى فى مكانهِ كأنه تحول لتمثال حجرى ، و هو يُحاول فهم ما يحدث حوله .. لماذا يسعى رجال الملك خلف أهالى هذا الحى الذى لا يقطنه سوى اليهود النازحين لفارس ؟ .. و إن كان هناك جُرم ارتكب لن يكن جُرم جماعى ؟ .. و إن كان جُرم جماعى لن يُقابل بالإعدام الفورى للجميع قبل أن يحكم الملك عليهم بنفسهِ ؟

أخذت الأسئلة و الاستفسارات تنهال على رأس مردخاى ، الذى فشل فى إيجاد الحلول ، و عندما لاحت صور الجنود تقترب منه ، تذكر كونه فى حى اليهود حيث يُفترض به ألا يراه أحد ، فدفع الطفل الذى مازال عالقا فى يدهِ دون وعى منه ، ليسقط هذا الآخير على الأرض على آثر الدفعة ، على حين أنزوى مردخاى فى ركن قصى و هو يتطلع لحشدِ الجنود الذين يُهدهدون الأرض بنعالهم الجلدية ، و قد قبض أحدهم على الطفل الصغير ، بينما قام الآخر بأشهار سيفه ، و ...

رحل الجنود عن الحى مُخلفين ورائهم جثة الطفل مُلقاة على الطريق الرملى سابحة فى بركةٍ من الدماء الوردية ، و قد كانت رأسه راقدة فى مكان و رمته فى مكان آخر .

فرت دمعة حارة من عين مردخاى و هو يتطلع لجثةِ الطفل

الصغير ، بعدما عقره الجنود بكل بساطة كأنهم يعقرون شاة صغيرة ، فتحول حزنه لثورةٍ و غضبٍ ، فقبض على تلابيب ثيابه و شقها إلى نصفين ليكشف عن صدره ، صارخًا بكل ما لديه من قوةٍ ، حتى يُخيل للناظر أن الجماد تحرك على آثارها ، و الغابرين عادوا من رفاتهم ليُشاهدوا صاحب تلك الصرخة ، التى إن نمت على شئ فإنها تنم عن عذاب رهيب لا يحتمله بشر .

سقط مردخاى على الأرض من شدةِ انفعالهِ ، و أخذ يعب من تراب الأرض و يُلقيه على رأسهِ ، و يغترف من طينها و يُلطخ بها جبينه ، و هو يصيحُ :

-لقد ُقضى علينا .. لقد ُقضى على اليهود .

برقت عيناه بذلك البريق الذى يشتهر به من فقد عقله ، و قد نهض فى تؤدةٍ ، ثم أخذ يعدو فى الشوارع و هو ينوح كالأطفال ، ضاربًا على صدرهِ ، قائلاً :

- لقد قتلوا الأطفال ، و شجوا بطون الحوامل .. لقد ُقضى علينا .

وصل مردخاى إلى مشارفِ قصر ملك الملوك إخشويرش بحالتهِ المذريةِ و حاول أن يتخطى بوابة القصر ، و لكن الحراس منعوه ، فصاح فيهم آمرًا :

- أنا آمركم أن تفسحوا الطريق .

فقال الحارس :

- لقد عزلك وزير القصر هامان عن منصبك ، و منع دخولك إلى القصر .

قال مردخاى فى ذهول و دهشة :

- هامان .. إذا هو وراء مقتل اليهود .

ثم استطرد عبارته بأن صاح بكل ما أوتى من قوة :

- أيها اللعين ، القاتل ، قسمًا بآلهتكم المزعومة لأقتلنك آلاف المرات .

ثم عدى برأس مشوش تضاربه الأهواء ، حتى حطته قدماه أسفل شرفة مخدع إستر ، فرقد فى وضع القرفصاء ، و هو ينوح ضاربًا على صدرهِ ، و قد بلت دموعه صدره العارى ، الذى تلون بلون الأرض السوداء :

- لقد ضاع اليهود .. لقد ُقضى علينا ، لقد أبادنا هامان ، ذلك اللعين .. أقسم أن أقتلك آلاف المرات .. أقسم أن أزهق روحك آلاف المرات مُقابل آلاف الأرواح التى أزهقتها ، و لن ...

و داخل مخدع استر ، كانت هذه الأخيرة جالسة أمام مرآتها بين وصيفاتها ، و قد أخذت أحداهن ُتمشط شعرها ، الذى بدا كسلاسل

الذهب الخالص ، و آخرى تقص عليها النوادر و ثالثة تقلم أظافرها ، و ...

- اصمتن أيتها الفتيات .

أبتلعت كل فتاة عبارتها فى حلقها على آثر أمر إستر ، التى أخذت تشنف أذنها لتتأكد من ذلكِ الصوت الذى اخترق أذنها و جذب انتباهها .

- ما هذا ؟ .. يبدو إنه صوت نحيب .. إنه رجلٌ ينتحب .. انهضى يا سافورة و تطلعى الأمر .

نهضت فتاة من بين الوصيفات ، و أخذت تتطلع من شرفةِ المخدع ، مُحاولة البحث عن مصدر النحيب ، فأخذت تردد :

- يبدو إنه رجلٌ مُسن ينتحب ما حدث لليهود اليوم ، و قد شج ثيابه ، التى أصبحت سوداء بسوادِ الأرض .

-ما حدث لليهود اليوم ؟!! .. ما معنى ذلك ؟

دلفت الفتاة من شرفةِ المخدع و هى تقول شارحة :

- لقد استصدر الوزير هامان مرسومًا مُدعم بختم الملك إلى كل الولاة فى أرجاء فارس يأمرهم فيه بالتخلص من اليهود .. الأطفال و النساء و حتى الشيوخ لأنهم عاسوا فى الأرض فسادًا .

شعرت استر بوخز حاد فى صدرها ، و هى تستوعب ما تقوله

وصيفتها ، و قد استنتجت أن من ينوح أسفل شرفتها و يتوعد هامان مُعرضـًا حياته للفناء هو شخص يهودى المنشأ و مُخلص لعشيرتهِ ، و على استعداد للتضحية بحياتهِ و مستقبلهِ فى سبيل تحقيق حلم واحد يُراود عقول و أذهان اليهود و هو إنشاء دولة مُستقلة لليهود ، و لن تتوافر هذه الصفات إلا فى رجل واحد قريب منها ...

- مردخاى .

- من يا مولاتىَّ ؟

- لا عليك أيتها الوصيفة ، اذهبى و أجلبى لىَّ خصى الملك هتاخ ، و اخلوا لىَّ القاعة .. هيا .

رحلت الوصيفات و كلن منهن تلفظ بعبارةٍ تعجب أو دهشة ُتعبر بها عن سبب انزعاج إستر ، على حين ظلت هذه الآخيرة مُتسمرة فى مكانها مُصغية لنواح مردخاى ، و علامات التأثر تغزو وجهها ، و لسان حالها يرثو ما آل له عمها .

- هتاخ تحت أمر مولاتىَّ .

فاقت إستر من شرودها على صوتِ خصى الملك هتاخ ، الذى تسمر عند مدخل المخدع ، لتستشعر تلك الدمعة الحارة التى أخذت تشق طريقها على وجنتيها صانعة أخدود عظيم ، فسارعت

بالقضاء عليها بأن مسحتها بأطرافِ أناملها .

-ادخل يا هتاخ .. لماذا لم تخبرنى بأمر ذلك المرسوم الذى أصدره هامان ؟

-لقد صدر هذا المرسوم سرًا إلى ولايات فارس ، و لم يُعلن تنفيذه إلا صباح اليوم .

-يا ويلتىّ .. إنها إبادة شاملة لليهود من بلاد فارس بكاملها .. مَن وراء هذا الخراب كله ؟ .. إنه ذلك الوزير اللعين هامان .

تذكرت إستر إنها تتحدث أمام هتاخ فتخلت عن توعدها لهامان ، و عادت تستطرد حديثها مع هتاخ مُتسائلة :

- و لماذا لم ُتخبرنى أو ُتخبر مردخاى بأمر تنفيذ الإعدام فور علمك حتى نحذر ذوينا ؟

- لم يكن لدى فرصة ، و كان لزامًا علىّ أن أتواجد ضمن جنود كتيبة الإعدام كما أمر هامان .

ضربت إستر على صدرها بشكل تلقائى ، و هى تقول بدهشةٍ مُعربة عن استنكارها لما أقترفه الخصى هتاخ :

- أشاركت فى مقتل اليهود .. ابناء عمومتك و أخوالك ؟ .. أنسيت إنك يهودى الأصل ؟ .. أنسيت إنك من سبط لاوى ؟

ثم تابعت عبارتها بأن صفعته بكل ما أوتيت من غضبٍ و ثورةٍ ،

فكانت الصفعة كفيلة بزلزلةِ أى كيان ، و لكن هتاخ تلقى الصفعة و ظل ثابتا فى مكانهِ كالجبل الرابض دون حياة ، و قد أكتفى بالتحديق فى الأرض ، بينما أعتدلت إستر فى وقفتها و بعدت عن هتاخ ، كأنها رأت أن ما فعلته لا يليق بملكةٍ على بلاد فارس ، أو إنها رأت إنه لا يحق للمرأة أن تتطاول على رجل و ذلك لكونها أنثى ، و أنوثتها تمنعها من ذلك ، و قد قالت بنبرةٍ هادئةٍ تتنافى مع طبيعتها الثائرة ، و قد تعمدت أن تضخم نبرات صوتها الحادة ، قائلة :

- اذهب لمردخاى ، إنه أسفل شرفتىَّ و أمنحه ثوبًا من ثياب الحرس ، و قل له أن إسترِ تود أن تعرف لماذا فعل الوزير هامان ما فعله باليهود ؟

رحل هتاخ عن مُحيا إستر ، التى أنتابتها حالة من التوتر و القلق ، على حين مَثَل هتاخ أمام مردخاى ، و قد ربت على منكبهِ و هو يقول مُواسيًا :

- هون عليك يا مردخاى .. خذ ، إن إستر سيدة القصر ترسل لك هذه الثياب ، و تقول لك إنها تود أن تعرف لماذ فعل الوزير هامان ما فعله باليهود ؟

حدق مردخاى فى وجهِ هتاخ مليًا ، ثم أحنى رأسه فى خزى و هو

يُردد في استهجان و استخفاف :

- سيدة القصر ! .. أخبرها يا بُني أن هامان قد أعلن الحرب على اليهود راغبًا في إبادتهم ، و قد عين لكل قاتل وزنة من الفضةِ يحصل عليها من خزانةِ القصر .. اخبرها يا بُني عن حاليَّ و ما أصابنيَّ من هلع تراه في قسماتِ وجهيَّ .

أنهالت الدموع من عين مردخاى حارة و هو يسرد ما أصاب شعبه من حرق دورهم ، و قتل الأطفال ، و شج بطون الحوامل ، و سبي النساء و هتك عذرية الفتيات قبل أن تقطع رقابهن ، و أخبره عن حادثة الطفل الذي ُقطعت رقابته أمام عينه ، و في نهايةِ حديثهِ أوصاه بأن تنقذ إستر من تبقى من شعبها من ذلك الطيطان المدعو بهامان ، بأن تدخل إلى الملك و تتضرع إليه و تطلب منه العفو من أجل شعبها .

رحل هتاخ من أمام مردخاى ليلقى على مسامع إستر ما أودعه مردخاى لديه ، فقالت إستر :

- بلغ مردخاى أن كل عبيد الملك و شعوب بلاده يعلمون أن كل رجل أو امرأة أو طفل يدخل على الملك دون أن يدعيه إليه وجب عليه القتل ، و أنا لم أدع منذ ثلاثين يوم ، لذلك يصعب عليّ أقتحام خلوتهِ و مُخابرتهِ بأى شئ .

و عندما علم مردخاى بحديثِ إستر لطم على وجههِ ، و صاح فى هتاخ :

- أبلغ إستر إنها ليست بمأمن كونها تحيا بين جدران قصر إخشويرش دون أهلها ، و إن سكتت عن ما أتى به هامان فسوف يطولها شره ، و يُصيبها ما أصاب شعبها و آل بيت أبيها .. اذهب و أخبرها أن تسعى خلف الملك و أن تستخدم جسدها ليعدل عن فعلتهِ الشنعاء .

سقط جسد إستر على أقرب مقعد صادفها عندما صارحها هتاخ بما قاله مردخاى ، و أخذت تفكر فى حل مُناسب يُنقذها و يُنقذ من تبقى من أهلها ، و لكن يبدو إنها فشلت فى إيجاد حلا لمُصيبتها إلا أن تخترق خلوة الملك المقدسة ، مُعرضة جسدها لأعظم اختبار قد يمر به ، أما أن ينجح فى استمالةِ الملك ليعفو عنها و عن أهلها ، و أما أن يفشل فتضيع روحها فى السماء بلا عودة .

- اذهب يا هتاخ و أبلغ مردخاى أننى سوف ادخل على الملك لأقطع خلوته المقدسة مُعرضة نفسىً للقتل ، و عليه أن يجمع من تبقى من ذوينا و ليصوموا ثلاثة أيام .. لا طعام و لا شراب من أجلىً ، أما أنا فسأصوم مع وصيفاتىً من أجل ذلك و ليرحمنى رب التوراة .

ذهب هتاخ ليُبلغ مردخاى ، الذى دب فى أوصالهِ الأمل ...

الأمل فى العفو عن اليهود ...

لبست أستر أفخم ما لديها من ثياب و أشدها إغراءًا و فتنة ، و أكثر إبرازًا لمفاتن جسدها ، و أحبها إلى قلب إخشويرش ، و قد تطيبت بأطيب العطور التى تغزو تلافيف العقول قبل الأنوف ، و قد طعمت خصلات شعرها ببعض القطع الماسية ، التى بدت كشموس صغيرة تسبح عبر خصلاتها الذهبية ، ثم انحنت على منضدة صغيرة مُلقة على عاتقها كتاب كبير ألتقطته و وضعته تحت أبطها ، و انصرفت .

و صلت إستر لبابِ مخدع الملك الذى يقضى خلوته المقدسة به ، يتقرب لأهورامزدا و يُطهر جسده من ملذاتِ الدنيا و على رأسها شهوة النساء ، و أخذت دقات قلبها تتعالى و تتسارع حتى ظنت أن الملك يسمعها من داخل مخدعه .

أخذ الترددُ يعصف بإستر ، هل تقتحم المخدع أم تتراجع ؟ .. و ما حُجتها التى ستدخل بها على الملك ؟ .. أخذت الحيرة ُتعربد بنفسها مُحاولة البحث عن سبب جل يدعوها لأقتحام خلوة الملك ، مُعرضة حياتها للفناء حيث لا ينفع جسدها و يضيع تأثير جمالها ، و فجأة ضوت فكرة فى عقلها كان لها مفعول السحر على نفسها ، فتشجعت و اقتحمت المخدع لتجد الملك راقدًا على الأرض فى وضع التضرع ، و قد رفع يداه إلى السماء مُبتهلا ً لتمثال أهورا

مزدا الراقد أمامه ، و قد حل عليه الفزع عندما شاهد إستر عند مدخل المخدع ، فنهض مفزوعًا كأنه أراد ألا يراه أحدٌ جاثيًا على ركبتيهِ لكائن من كان حتى و لو كان أهورامزدا ذاته ، و بدأت الثورة و الغضب على إستر تغزل خيوطها فى روحهِ ، و قد عقد حاجبيه فى شدةٍ و هو يعود لكرسيهِ الذى يتوسط القاعة .

- ما الذى ...

أبتلع إخشويرش عبارته الناقمة و هو يتطلع لإستر ، و قد بدت فى أبهى صورها ، فلاقت نعمة فى عينيهِ ، فتناسى أمر خلوته و ما ألم به من غضبٍ ، و هو يُشير لإستر أن تقترب منه .

أخذت إستر تتهادى بخطى هادئة ، و قد أبكت عيناها بدموع ملحية خرجت من مآقيها على غير رغبة منها و هى تنوح بصوتٍ حاد ، خافت ، أخذ يعبث فى قلبِ إخشويرش عبث الطفل بدميتهِ ، فرق حال هذا الآخير لمرآه دموع إستر الواهية و لسماعهِ لنحيبها الرقراق ، فقال لها متسائلاً :

- ما بال أميرتىَّ حزينة ، و الدمع ينسكب من عينيها حفاة حفاة ؟ .. كفكفى دمعك يا من شبقت لها نفسىَّ منذ أمد .

تمادت إستر فى بكائها ، و مع كل دمعة تهطل من عينيها يزداد انفعال إخشويرش حتى يُخيل للناظر إنه فى نهايةِ الأمر سيجثو على

ركبتيهِ راجيًا إياها أن تكف عن النحيب ، و هو يقول لها :

- كفاك بكاء .. تمنى علىَّ نصف المملكة تُعطى لك .

- كل ما أطلبه هو رضى مولاىَّ .

- و أنا لن يهنئ لىَّ بال و جميلة جميلات بلاد فارس تُهدر ماسات عينيها هباءًا .. كفكفى دمعك .

نشرت إستر ذلك الكتاب الذى يرقد أسفل إبطها ، و هى تقول مُشيرة :

- عندما أشتاقت نفسىَّ إليك طيلة أيام غيابك عنىَّ أخذت أتطلع إلى أعمالك و إنجازاتك فى بلاد فارس منذ أن توليت حكم البلاد خلفا عن أبيك دارا فزاد أشتياقىَّ لك ، فقررت أن أكسر خلوتك لأملى عينىَّ برؤياك ، و ليخمد شوقىَّ و وجدىَّ إليك .

فتت عبارات إستر فى عضدِ إخشويرش ، الذى أنجذب لعطر إستر الذى يفوح منها ، و قد بدا عليه الخدر و هو يقول :

- أقبلى علىَّ و أغمرينى بطيب عطرك .

جلست إستر على الأرض أسفل قدم إخشويرش ، الذى أخذ يتخلل خصلات شعرها بأصابعهِ ، على حين قالت :

هل يسمح لىَّ مولاىَّ أن أقرأ على مسامعهِ أخباره التى دونت فى أخبار أيام الملوك .

أوماً إخشويرش برأسهِ و هو يقول :

- لقد عفوت عنك لأقتحامك خلوتىَّ المقدسة لجمال فتنتك ، فكيف لىَّ أن أرفض طرب صوتك و هو يشدو و يُغرد بحسن أعمالىَّ ؟

- و حدث فى أيام إخشويرش ، هو إخشويرش الذى ملك من الهند إلى كوش على مئة و سبع و عشرين كورة ، إنه فى تلك الأيام ...

و أخذت إستر ُتزبد على مسامع إخشويرش انباءه منذ تقلد مقاليد حكم فارس ، مارة بفتوحاتهِ و دخولهِ الأمصار و حروبهِ مع الجبابرة ، و أخذت ُتزبد و تروى و إخشويرش مُتفاعل معها ، و مع كل كلمة كان يزداد تفاخرًا بنفسهِ ، حتى وصلت إستر لروايةِ بغثان و ترشى و مُحاولة اغتيالهما له و كشف مردخاى لمخططهما ، عندها قالت :

- هذا رجل أسدى إلى الدولةِ أجّل خدمة ، بأن حافظ على حياة ملك الملوك و صاحب فارس بكشفهِ مُؤامرة بغثان و ترشى ، فماذا فعلت له يا مولاىَّ ؟

أخذ إخشويرش يُداعب ُشعيرات لحيته و هو مُتعمق فى التفكير ، قبل أن يقول :

- كل مـا أذكـره أننـا منحنـاهُ بعضـًا مـن الـذهب و ولينـاه رئاسـة حرس القصر الملكي .

وضـعت إسـتر كتابهـا علـى الأرض ، ثـم نهضـت و التفـت حـول إخشويرش مُطوقة إياه بذراعيها ، و أخذت ُتلثمه بشئ من الدلال و هي ُتردد :

- يا ليت حاشيتك مثل هذا الرجل الذى خاطر بحياتـهِ ليُحافظ على حياة مولاىّ .. ذلك الرجل الذى وفد إلى بلادك زاهدًا فى كل شئ ليحيا على ما تجود به عليه ، أيكون جزاءه حفنة من الذهب لا ُتسمن من كـان قلبـهُ عـامرًا بحـب الآخـرين ، و لـن ُتغنـى شيئا مـن كانت روحه طاهرة ، سامية .

قال إخشويرش :

- غدًا سننظر فى أمرهِ أنا و هامان .

لثمت إستر مليكها و هى تقول فى دلال :

- لىّ رجاء عندك يا مولاىّ .. يا ليتك لا تذكر اسم من منحك الحياة له حتى تسمع رأيه دون تحيز أو عداء .

- رأىّ سديد يا مولاتىّ .

- و لىّ رجاء آخر يا مولاىّ .

- لكِ ما ترغبين فيه .

- كنت أود أن يدور حوارك مع هامان من خلال وليمة أعدها لك لأعوض جوى شوقىَّ و حرمانىَّ لك .

قبض إخشويرش على يد إستر و أخذ يُقبلها فى شراهةٍ كخنزير برى وجد مُستنقع من القاذورات ، و الكلمات ُتجاهد للخروج من بين نواجذه :

-لك ما تشائين .

و فى اليوم التالى ، انتظرت إستر الملك إخشويرش و هامان ، و قد طال انتظارها أمام الطاولة ، حتى ترانى لسمعها صوت الحارس مُعلنا قدوم الملك و بصحبتهِ وزيره هامان ، فنهضت مُرحبة و قد طبعت على وجهها إبتسامة صفراء ، تاركة الملك يقبضُ على كفها ليغتصب منها بعض القبلات خلسة ، و قد أمتطت شفتاه من شحمةِ أذنهِ اليمنى و حتى شحمةِ أذنهِ اليسرى لتعطى إيحاءًا بالإبتسام و الغبطة ، على حين ظل هامان مُتسمرًا فى مكانهِ و هو يتطلع لإستر بعين السخرية و الاستخفاف و قد جاهد ليحفر إبتسامة صفراء على وجههِ .

جلس الجميع على المنضدةِ ، و قد أذنت إستر لخادمها ، الذى بدأ فى نشر شتى أنواع الأطعمة على المنضدةِ ، لينغمس الجميع فى الطعام إلا إستر ، التى أخذت ُتداعب قطع اللحم الراقدة أمامها فى سكون ،

و هـى تتربص للملك فـى مُحاولـةِ لأصـطياد نظراتـهِ ، و لكنـه كـان مُنغمس فى الطعام ، واضعًا رأسه فى قلبِ طبقه حتـى أوشك علـى الانتهاء ، فرفع رأسه قائلا :

- ما أجمل الطعام على مائدتك يا مولاتىَّ !

- هذا من فضلكم يا مولاىَّ .

هم إخشويرش أن ينغمس فـى الطعام مرة آخرى لـولا أن قبضت إستر على يدهِ و هى تقول هامسة حتى لا يسمعها هامان ، الذى بدا عليـه الأنشـغال بالطعـام ، و لكنـه كـان مُنشـغلاً بإسـتر و مـا تُخفيـه خلف ستار دعوتها للملك و له لتناول الطعام على مائدتها :

- ألن تتحدث مع هامان بخصوص مردخاى ؟

أبـدى إخشـويرش دهشـتهِ لكونـه نسـى هـذا الأمـر ، فوجـه بصـره لهامان و هو يقول :

- بماذا تُشير علينا يا هامان فى رجلٍ يسرنا أن نكرمه ؟

- أرى يا مولاىَّ أن أجَل نعمة تنعم بها علـى هذا الشخص هـى أن تفيض عليه ببعض المال .

- لا .

-و لتكن فضة أو ذهب .

- إن ما منحنا إياه هذا الرجل يُبخس حق المال بجواره .

- يبدو إن هذا المرء أسعد مولاىَّ ، فلينعم عليه مولاىَّ بلباس ملكى يلبسه ، و ليمتطى فرس الملك فى المدينةِ بين الشوارع و الثكنات ، و لينطق الشريف أمامه مُناديًا .. " هذا جزاءُ من يَرضى الملك عنه و يأمر بتكريمهِ " .

- و ليكن ما قلت يا هامان .. اذهب إلى ذلك المدعو مردخاى و امنحه لباسًا ملكيًا ، و أعطيه فرسىَّ ليمتطيهِ فى الشوارع و الثكنات .

صُعق هامان عندما سمع أن مردخاى .. ذلك اليهودى الذى أراد أن يقتص منه و يتخلص من شعبهِ هو نفسهُ من أشار على الملك بتكريمهِ ، و علم أن إستر بدأت فى قصاصها منه ، و ذلك برد إعتبار عمها مردخاى و إهانته أمام ذويه بعدما يروه مُكرمًا له ، فقال مُعترضًا :

- و لكن يا مولاىَّ ...

- ماذا هناك يا هامان .. أتعترض ؟

-حاشا أن يكون هذا مقصدىَّ و مُبتغاىَّ ، و لكنىَّ أقصد أننىَّ أمرت بطردهِ من القصر و ذلك بسبب .. بسبب ...

- بسبب ماذا يا هامان ؟

أخذ هامان يتطلع لأستر بعينٍ نارية ، و كأنه يُحذرها بأن لعبتها قد

انقلبت عليها ، فقال في حماس :

- لكونـه يهودى يـا مـولاىَّ ، و أنـا خشـيت عليـك منـه و مـن ألاعيبه فآثرت طرده و تشريده ليلقى مصيره مع باقى جنسه .

فهمت إستر ما رمى له هامان ، فقالت فى ثورةٍ مُهاجمة :

- و لكنـه مـنح مـولاىَّ فرصـة للحيـاة بكشـفهِ مُـؤامرة بغثـان و ترشى .. أيكون قتله جزاء معروفه ؟

قال هامان :

- و لكنه يهودى يا مولاتىَّ ، و اليهود خنـازير لا تعف نفسها عن العفن ، و ما أتى به هذا اليهودى قد يكون مُصـادفة ، أو يكـون مُدبرًا من قبلهِ مع بغثان و ترشى و يجب أن ينال جزاءه .

تخضب وجه إستر الأبيض بحمرةِ الغضب الشديدة ، و هـى تُحـاول أن تبحث عن كلمـاتٍ تردع بهـا هامـان ، الـذى طبـع إبتسـامة نصـر على شفتيهِ ، و قد تلعثمت الحروف بين نواجذها ، و هى تقول :

- اليهود شعب تفانى فى حبِ مولاىّ ، و أخلصوا له العطاء .

زادت إبتسامة هامان إتساعًا ، و هو يقول بسخريةٍ :

- هذا صحيح يا مولاتىَّ .. فقد تفانوا فى سرقةِ أقوات المساكين من شـعبِ فـارس ، و أخلصـوا فـى تعلـيم عامـة الشـعب السـحر و الإختلاس و السرقة .

لم تجد إستر كلمات تجيب بها على هامان ، الذى أخذ يُمطر على مسامعها ما يأتى به شعبها من ذنوب ، فقالت فى إيجاز و عناد طفولى لتفض به الحديث :

- و ليكن .. و لكن كلام الملوك لا يُرد .

ثم تعلقت نظراتها بإخشويرش الصامت ، و قد شاركها التطلع لوجهِ هذا الأخير هامان ، كأنهما ينتظران حكمه ، حيث سيكون لأحدهما بمثابةِ طوق النجاة و للآخر حُكم بالإعدام ، على حين ندبت عن إخشويرش حركة تنم عن ضجره من المُشاجرة الكلامية الدائرة فى حضوره ، فقال :

- حقا مردخاى من اليهود و لكنه منحنى الحياة لأنعم بملذاتها ، و حقا أن كلام الملوك لا يُرد ، لذلك عفونا عن مردخاى و أعدناه لمنصبهِ الأول .. رئيسًا لحرس القصر ، و عليك يا هامان تنفيذ ما وكل إليك من أمر تكريمه .

تهللت أسارير إستر لأنها شعرت بالنصر على هامان ، الذى تسمر فى مكانهِ كأنه تمثال من البرونز الحى ، و قد شعر أن حُكم الملك كان بمثابةِ الإعدام عليه ، و بدون رحمة .

رأت إستر التجهم فى عين هامان ، فأرادت أن تزيد من جزوة اقتصاصها منه ، فنهضت و الغبطة شيمتها ، و أخذت تقبل

إخشويرش ، فنهض هامان فجأة تاركا القاعة مُستئذنا من الملك ، الذى سمح له بالرحيل ليقطف ما يقدر عليه من تلك الزهرة الراقدة بين يديه :

- ما أروع هذا العنق البديع يا مولاتىَّ !

- هذا العنقُ البديعُ يا مولاىَّ ستعمل فيه السكاكين و المشانق ..

- من الذى يجرؤ أن يمسه أو يقترب من ملكةِ البلاد و ملكها على قيد الحياة ليسبغ حمايتهِ على رعاياه .

- من أساء استغلال عطفكم و رعايتكم و أشار عليكم بقتل اليهود .. الرجال و النساء و حتى الأطفال يا مولاىَّ ، و استغل خاتمكم الملكى ليُغرر بك و يجعلك أضحوكة بين العالم كله .

أشعلت كلمات إستر غضب إخشويرش الذى لفظها من جوارهِ و هو يتساءل فى جهلٍ :

- من تقصدين ؟

- هامان يا مولاىَّ .. من أراد بك السوء ، فكيف يفتح أباءك بلاد فارس لليهود المُشردين فى الأرض على يد ذلك الطيطان المُسمى نبوخذنصر .. ذلك البابلى اللعين ، و يأتى ملك الملوك اليوم ليقتلهم عن بكرة أبيهم ؟

نهض إخشويرش من مرقدهِ ، و أخذ يتريض فى القاعة مُستغرقا

فى التفكير ، ثم قال مُستفسرًا :

- و ما لك أنتِ و ما فعله هامان باليهود ؟

- أننىّ .. أننىّ يهودية يا مولاىّ ، و مردخاى هو عمىّ ، فإذا وجب قتل أهلىّ فسأكون أول من يُقتل ، و إن لم يكن بسيفِ رجالك فسيكون بيدىّ أنا ، فبحق حبىّ لك يا مولاىّ و باسم تلك الليالى التى وهبتك إياها استوهبك حياتىّ و حياة شعبىّ .

أخذ إخشويرش يُداعب شعيرات لحيته فى صمتٍ أخذ يُزكى قلق إستر ، التى أرادت أن تطرق على الحديد و هو ساخن ، فقالت :

- و هناك أمر آخر أخفيته عليك يا مولاىّ ، و لكن الأن لابد أن ُأعلمك به لأنه يمسك و يمس عرشك يا مولاىّ .

نجحت إستر فى استقطاب قلق إخشويرش ، على حين استطردت فى عُجالةٍ :

- لقد .. لقد كان هامان يزورنى فى مخدعىّ ليلاً أثناء خلوتك المقدسة ، و كان .. و كان يسعى للتغرير بىّ و مُراودتىّ عن نفسىّ

صاح إخشويرش نافيًا بقوةٍ :

- غير معقول .

- أقسم لك يا مولاىّ أن هذا ما حدث ، و كان خصيك هتاخ يراه ، و لكى تتأكد بأم عينيك ستجده غدًا مُتسللاً لمخدعىّ ، محاولا

هتك عرضىَّ يا مولاىَّ غير عابئ بك أو بسلطانكِ .

- كذب .. إفتراء .

قالها إخشويرش و قد آثر الرحيل من مخدع إستر ، التى أخذت تهدهد وجهها بإبتسامةِ نصر ، و قد جلست خلف المنضدة مُحدثة نفسها بصوتٍ هامسٍ :

- كيف لىَّ أن أجعل الملك يرى الخيانة آتية من هامان ؟ .. لابد أن أتصنع سببًا لكى يدخل هامان مخدعىَّ بمفردهِ ليُشاهد الملك مُحاولته للإعتداء علىَّ ليأمر بقتلهِ على الفور .

أخذت إستر تبحث بين خلايا رأسها عن كيفية التغرير بهامان ، الذى رقد مهمومًا بمنزلهِ ، و الكدر يتوغل بنفسهِ ، و قد أقتربت منه زوجه زرش ، مُحاولة التخفيف عنه ، قائلة :

- ما بك يا رجل ؟

- لا شئ .. اذهبى حيث كنت .

- إن وجهك عبوسًا قمطريرا .. ما بك .. افصح .

لم يجد هامان بدًا من ألحاح زوجه ، فأخذ يقص عليها ما كان من أمر دعوة إستر و ألحاف الملك على التقليل من شأنهِ بجعلهِ يُكرم مردخاى بنفسهِ .

- و الأن ماذا أفعل فى مُصيبتىَّ ؟

- لقد أردت أن تقتص من اليهود فأرادوا بك المذلة و الهوان .. إنهم إناس خبثاء يا هامان .. يكيدون فيفت كيدهم .

- أعلم .. أعلم يا زرش ، و لكن ما العمل فى مُصيبتىَّ ؟

أطبق الصمت على الحجرة ، و كلاً من هامان و زوجهِ زرش يعصر بنات قريحته باحثًا عن حل ، حتى كسرت زرش هذا الصمت قائلة :

- إن إستر داهية مثل بنى جنسها ، و قد بدأت تهلك أمانيك و تضعف من شأنكِ أمام الملك رويدًا رويدًا ، و ربما تتسبب يومًا ما فى قتلك ، فعليك الآن أن تتودد لها و لذويها حتى تثق بك ، ثم ُتفهم ملك الملوك حقيقة هذا المسخ الأدمى بعدما تقرن كلامك بالدلائل ، ليبدأ حينها قصاصك منها و من ذويها و ترد لهم الصاع صاعين .

- و كيف يتأتى لىَّ فعل ذلك و فى صباح اليوم سيبدأ انتقامها منىَّ ؟

- اذهب لها فى الصباح الباكر و قبل إشراقة أشعة الشمس و أعقد معها صفقة .

- و ما بنود هذه الصفقة التى ستعقدها معىَّ على الرغم من كونها فى وضعٍ أفضل منىَّ ؟

- أن تعفى باقى شعبها من القتل و الإبادة .

- و كيف ؟

- أن تصدر مرسومًا مُدعم بخاتم الملك توقف فيه تلك المذبحة التى أضرمتها فى فارس .

- و مقابل ذلك .

- أن تتوسط لدى الملك لكى يعفيك من تكريم مردخاى ، و تبدأ معها بسلام حتى تملك ثقتها .

- كلام منطقى ، و لكنه ...

- و لكنه ماذا ؟

- يحتاج لتفكير و إمعان .

قالها هامان ، و هو منغمس فى التفكير مُحاولاً فهم بواطن الأمور

* * *

مع إشراقةِ أشعة الشمس الأولى ، أقتحمت وصيفة إستر مخدع هذه الآخيرة ، و التى تغط فى ثباتٍ عميق ، و هى تقول بصوتٍ هامس :

- سيدتىَّ .

تكرر نداء الوصيفة بضع مرات حتى استجابت إستر و كشرت عن جفونها ، لترى صورة مشوشة لوصيفتها ، فقالت بصوتٍ مُتهدج يفقد بكارتهِ رويدً رويدًا :

- ماذا هناك أيتها الآتنة ؟

- إن الـوزير هامـان ينتظـر ببابـك يـا مـولاتىّ و يسـتئذن فـى مقابلتك .

انتفضت إستر فجأة ، مُنفضة عن رأسها كل آثر للنعاس ، و هى تردد فى استهجانٍ ممزوج بلكنةِ التساؤل :

- الوزير هامان ؟!

- نعم يا مولاتىّ .

مثلت إستر أمام مرآتها لتعدل من هندامها ، و لكنها سرعان ما توقفت عن مداعبة خصلات شعرها ، و هى تهمس قائلة :

- لا .. بل أنا هكذا أفضل .

- ماذا تقولين يا مولاتىّ ؟

- لا شئ .. فقط اذهبى إلى مخدع الملك و أبلغى خصيانه أن يخبروه بأن يأتى لمخدعىّ على الفور .. و الأن اذهبى و أدخلى الوزير .

ذهبت الوصيفة فى هدوء ، لتخبر هامان بموافقةِ سيدتها على مقابلتهِ ، فتوترت عضلات وجهه و هو يسأل الوصيفة فى حرج :

- هل استيقظت مولاتك من سُباتها ؟

- أجل يا مولاىّ .

أخذ هامان يعتدل فى ثباتهِ مُعدلاً فى هندامهِ ، و عينه زائغة و لسانه يتمتم ببعض الكلمات كأنه يُراجع ما يود قوله لإستر قبل أن يدلف عليها ، و قدمه تتزمر رافضة التحرك .

و آخيرًا دلف هامان على إستر ليجدها جالسة على طرف مضطجعها ، و وجهها مُصوبًا تجاهه ، فقال مُحييًا :

- عمت صباحًا يا مولاتىّ .. أعتذر عن طلب لقياك فى مثل هذا التوقيت و لكن الموضوع جد خطير .

- لا عليك .. أقبل علىّ أيها الوزير هامان .

- أن ما أبغيه ...

أخذ هامان يُزبد على مسامع إستر رغبته فى عقدِ صفقةٍ معها ، على أن يقوم هو بألغاء أمر إبادة الشعب اليهودى من بلاد فارس و ما فى جعبتها من دويلات ، على أن تتوسط هى لدى الملك بألا يُكرم مردخاى ، حفاظا على هيبتهِ أمام شعب فارس و أن تكف آذاها و مكرها عنه .

على حين كان هامان يروى على مسامع إستر بنود صفقته ، كانت هذه الآخيرة تقترب منه رويدًا رويدًا كالأفعى التى تتودد لفريستها بصبر و هدوء حتى تملكها ، و فجأة انقضت إستر على هامان و قد أحاطت رقبته بكلتا يديها ، و أخذت تقبله فى شراسةٍ فبدت

كامرأة آبقة ، مشبوبة العواطف ، و فجأة ابتعدت عنه ، كأنها وجدت فى قبلتهِ سُم زُعاف ، و صاحت فيه ناهرة إياه :

- كيف تجرؤ على الأتيان بما فعلت إيها الحيوان و أنا امرأة مولاك و رب بيتك و بين أسلافك ؟

دهش هامان لما فعلته إستر معه ، و قد جحظت عيناه و هو يرى إستر تحتضنه فجأة مُقبلة إياه ثم تدفعه مُبتعدة عنه ، مُهاجمة إياه مُدعية إنه هو الذى أقترف هذا الأثم ، و لكنه سرعان ما فهم سر ما أتت به إستر ، عندما ترانى لسمعهِ صوت الملك إخشويرش يدوى من خلفهِ :

- أيها القذر .. لقد حُق عليك الموت .

ألتفت هامان خلفه ليتأكد من صاحبِ الصوت ، و عندما وقعت عيناه على إخشويرش شعر بمقدار ما هو فيه من شرك ، فذهب ساعيًا لتقبيل يد إخشويرش مُتظلمًا :

- أنا برئ يا مولاىَّ مما شاهدت ، هى التى غررت بىَّ لتظن فىَّ الخيانة .

- و لماذا أتيت إلى مخدعها فى مثل هذا التوقيت ؟ .. أم إنك قضيت ليلتك هنا معها تسمن أحشائها و على مضجعىَّ ؟

- لا .. لا .. بل سعيت إليها لكى .. لكى ...

لم يجد هامان من الكلماتِ ما ينقذه من هذه التهمة التى ستودى بحياتهِ ، و هنا صاحت إستر :

- لقد جاء ليُساومنى على عصيانك يا مولاىَّ .

- عصيانىَّ ؟!

- نعم يا مولاىَّ .. لقد جاء ليُساومنى على جسدىَّ فى مُقابل تزوير مرسوم للعفو عن شعبىَّ مُزين بخاتمك ، و عندما أبيت أعتدى علىَّ .

صاح هامان و هو مُمرمغ رأسه فى ثوبِ إخشويرش :

- كذب .. أنا برئ من هذه التهم .

على حين ركله إخشويرش بمقدار ما كان يكن له من حبٍ و إحترام تحول فى غمضةِ عينٍ لحقدٍ و كرهٍ ، داعيًا حُراسه أمرًا إياهم بالقبض على هامان :

- خذوه ، و لتضعوه فى القبر حيًا ليعرف للموت مذاق .

أنتاب هامان حالة من الهستيرية و الجنود يحملونه حيث سيلقى مصيره الذى صنعه جسد إستير ، التى أبتسمت فى جذلٍ و هى تقول مُخاطبة الملك :

- لا رُد فوك يا مولاىَّ ، و لكن هناك أمرٌ يجب أن تحتاط له .

- و ما هو يا مليكتىَّ ؟

- امرأة هامان و ذريته .

- ما لهم ؟

- سيسعون للقصاص منك ، و ربما يسوقهم غضبهم للقيام بثورةٍ ضدك يزكيها من أحبوا هامان دون أن يعلموا حقيقته ، لذلك وجب عليك التخلص من ذويهِ نهائيًا إتقاءًا للفتنةِ .

- كلامٌ سديدٌ يا أميرتيّ ، و لكن ...

- و لكن ماذا يا مولايّ ؟

- هناك أمرٌ جليلٌ يُقلقنى ؟ .. هل نال هامان منكِ مُبتغاه ؟

تصنعت إستر الفزع و هى ترسم آيات العفةِ على وجهها ، ضاربة على صدرها النافر :

- أقسم بشرف مولايّ ، و بمقدار حبىّ لك ما من رجل وطئ جسديّ سواك .

- باركتك الآلهة يا أميرتيّ .. تمنى علىّ .

- مردخاى يا مولايّ .. عمىّ ، ما مصيره ؟

- كما قررت بالأمس .. سيُكرم فى صباح يومنا هذا ، فى الحين الذى سيشاهد فيه شعبىّ جزاء هامان الخائن ، الذى حاول أن يتطاول على مُمتلكاتىّ .

- و ماذا عن منصب الوزير الذى أصبح فارغا على عروشهِ ؟

أرى أن مولاىَّ لن يجد أوفى و لا أصدق من الصدوق مردخاى ، الذى سيكون خير عون لمولاىَّ .

ـ فليكن مردخاى رئيس الوزراء بدلاً من هامان الخائن ، و ليحل محله و ذويه فى ضيعتهِ ، لتصبح مُمتلكات هامان من قصور و ضياع ملكـًا له .

و منذ تولى مردخاى منصب رئيس الوزراء زاد نفوذ اليهود فى بلاد فارس بزيادة نفوذ إستر و عمها مردخاى ، بعدما تقلدا مقاليد الحكم ، بينما أكتفى إخشويرش بالتنعم بجسد إستر الذى لم يكف يومًا عن مُغامراته الآثمة ، و لم يعف عن إيلاج و ولوج أدران الرجال فيه ليصنع خريطة جديدة مرسومة من عرق البغايا لليهود ، فساء حال فارس ، بعدما أصبحت المناصب العليا من نصيب اليهود وحدهم .

رضى اليهود على إستر و نصبوها قديسة عليهم ، فكتبوا لها سفرًا فى توراتهم ، و قد أشاعت بينهم أن أجساد نساء اليهود خلقت لتكون سلاحًا يُستغل ضد الملوك الضعاف ، و بهذا تزداد طهارة أجسادهن لأنها تتمرمغ فى الحضيض من أجل سمو اليهود و التوراة ، فجاء من بعدها العشرات بل المئات من الآثمات اللواتى رغبن فى العلاقاتِ المُحرمة فتسترن فى نصائح الزانية إستر ،

التى صنعت التوراة من تعطش جسدها للمحرمات .. (و حدث فى أيام إخشويرش ، هو إخشويرش الذى ملك من الهند إلى كوش على مئة و سبع و عشرين كورة ، إنه فى تلك الأيام حين جلس الملك إخشويرش على كرسى ملكه الذى فى شوشن القصر فى السنة الثالثة من ملكه عمل ...) ... سفر إستر/ التوراة .

و هكذا خطت الأيدى الآثمة قصص العاهرات مُحرفين ما خطه الله عز و جل .

تمت بحمد الله تعالى

أعمال الكاتب إسلام عامر على

أولا : الأعمال الإبداعية

- آهات العرب (مسرحية سياسية) ١٩٩٩
- صمت الليل (مسرحية سياسية) ٢٠٠١
- نزق الثوار (رواية طويلة) ج١ ٢٠٠١
- الفليسوف و المرأة (مجموعة قصصية) ٢٠٠١
- قديسة التوراة (رواية طويلة) ٢٠٠٢
- توراة الفيطوان (مجموعة قصصية) ٢٠٠٢
- ثامار (مجموعة قصصية) ٢٠٠٤
- رقصة المعبد الآخيرة (رواية طويلة) ٢٠٠٥

ثانيا : الأعمال الفكرية

- إرهاصات يهودية (مقالات) ٢٠٠٢
- موسوعة الداء و الدواء فى تفسير القضية الفلسطينية .. الجزء الأول .. (الرعيل الأول لبنى إسرائيل) ٢٠٠٣
- صمتا أيتها النساء (دراسات تأملية) ٢٠٠٤
- عجائب الكلام فى كتاب الأوهام (مقارنة أديان) ٢٠٠٥